السفاحون المائة

الجزء الأول

د/محمود أحمد جاد

ضحايا كورونا

ارقدوا في سلام

سيرفع الله البلاء

نحسن الظن به

الفهرس

****

١.قابيل ابن آدم،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،(٥)
٢.النمرود بن كنعان،،(١٢)
٣.فرعون موسى،،(٢٠)
٤.نبوخذ نصر،،،(٣٧)
٥.أنطيوخس الرابع،،(٤٦)
٦.هيرودس،،،(٥٧)
٧.نيرون،،،(٦٥)
٨.أتيلا الهوني،،،(٨٢)
٩.ذو نواس،،(٩٥)
١٠.كسرى الثاني،،(١٠٩)

هذا أول كتاب لي، كتاب متواضع جداً بالنظر لثقافة القراء، إن افتقر للتشويق و الإمتاع العقلي فذلك تقصير مني، أتطلع لكتابة الأفضل إن شاء الله بثقتكم و آرائكم، أنتظر رسائلكم بشغف عن ما وجدتموه من المميزات و العيوب في هذا الكتاب، بالتأكيد سأكتسب منكم الخبرات و أضفي ما تقترحونه على الأجزاء القادمة....أنتظر رسائلكم.

رقم الواتس آب: ٠١٠٢٤٩٥٧٧٩٦
الإيميل: momogad1996@yahoo.com
صفحة الفيس بوك: محمود أحمد جاد

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه و سلم. بين أيديكم قصص مائة شخصية دموية عرفها التاريخ؛ فقط مائة من آلاف الشخصيات التي شوهت صفحات التاريخ الإنساني بجرائمهم الوحشية بحق الأبرياء نسردها لكم في عشرة أجزاء. نستعرض نبذة عن تاريخهم الأسود بأحداث و وقائع وثقها المؤرخون و كيف كانت مصائرهم و كيف انتهت عصورهم و حقبهم، من مصادر متنوعة استقيت منها معلومات عن كل شخصية ،لن تجد بإذن الله حشواً كثيراً و تفاصيل معقدة بل معلومات مبسطة و سهلة راجياً من المولى عز و جل أن ينال الكتاب إعجابكم.

الكاتب/محمود أحمد جاد

مقدمة الجزء الأول:

في هذا الجزء نستعرض قصص أول عشرة سفاحين مجرمين من الكتاب بداية بقابيل و حتى كسرى الثاني، أرجو ألا أكون قد ذكرت شخصيات لا تستحق وضعها و غفلت عن شخصيات أخرى، المؤكد أنه لم يخبرنا التاريخ و خاصة قبل ميلاد المسيح بتفاصيل كافية عن الأحداث التاريخية، فهذا ما وصل إلى أيدينا و استطعنا الحصول عليه، هناك ثلاث شخصيات شكك المؤرخون في صحة قصصهم و هم نبوخذ نصر و ذو نواس و حقيقة النمرود لكننا وضعنا أمامكم المعلومات التي اتفق على صحتها أغلب العلماء، و أرجو من الله أن يستفيد كل قارئ لهذا الكتاب المتواضع.

(١) قابيل ابن آدم

(بدء الخليقة)

بعد الخطيئة الأولى من آدم و حواء، كان العقاب الهبوط إلى الأرض، من بعد النعيم شقاء، آدم يشقى لأجل كسب الرزق و عمارة الأرض و حواء تشقى بالحمل و آلامه و تربية الأبناء.

حزن آدم عليه السلام على الجنة مائة عام حتى حملت له حواء أول بطن لها بقابيل و إقليما، فكان معلم السفاحين الفرحة الأولى لأبيه آدم مع أخته التوأم، من بعد حزن أبيه على جنة الخلد التي أهبطه الله منها بعد أكله من الشجرة الملعونة.

بعد عامين فقط جاء أخوه هابيل و توأمته لبودا ، نشأوا معاً، كبروا معاً و تجولوا في الأرض الواسعة معاً ، كانت أخته التوأم إقليما في غاية الجمال بينما كانت توأم أخيه هابيل أقل جمالاً فأحب قابيل إقليما و آثرها لنفسه، و لم يكن على الأرض غيره سوى أبيه و أمه و اخوته و شيطان رجيم أغوى أبويه و هبط معهما.

كان أمر الله و شرعه أن يتزوج كل منه و أخيه من توأم الآخر و لا يحل له أن يتزوج من أخته التوأم فقد أتيا معاً في مخاض واحد، أتيا معاً في وقت واحد، ثقل على قلبه المستعر حكم الله و حكم شريعة أبيه، كيف لمتمرد و فاسد مثل قابيل أن يترك أخته الفاتنة لأخيه ، كيف يتحمل الزواج بمن لا يحب، كيف يسمح الشيطان بذلك.

كان ذلك كفيلاً أن تلقى بذور الحقد في قلبه، و كما عصى أبوه ربه و أكل من الشجرة فقد ورث العصيان و التمرد و أبى الزواج من توأمة هابيل.

لم يكن آدم النبي عليه السلام قاسياً بل كان نعم الأب و نعم المعلم فلم يكسر قلبه، و أخبره هو و هابيل أن يقدما قرباناً إلى الله و الأحق بأخته إقليما هو من يتقبل الرب قربانه ، ذهب أبوه و قد عهد إليه و استودعه أخاه فقد رأى منه ما لا يحب رأى في صدره قلباً أسوداً غليظاً لكنه وعده أن يحفظه كوعد الأسباط بحفظ يوسف، كان هابيل راعياً للماشية و كان قابيل صاحب الزرع و الحقول.

لم يكن قاسي القلب فقط بل كان شديد البخل أيضاً لا تدري كيف تكون تلك صفات ابن نبي لكنه قد أسلم نفسه لمخالب إبليس فجعله ميراث الفساد لذرية آدم .

قد أحضر حزمة من زرع رديء ذابل قرباناً لرب كريم و منعم و أحضر أخوه كبشاً سميناً مليحاً من خير ماشيته، و وضع كل منهما قربانه على الجبل، فإذا بنار من السماء تنزل لتأكل قربان هابيل و تذر قربانه الرذيل محله ، لكن في نفس اللحظة كانت هناك نار أخرى تأكل آخر ذرة رحمة في قلبه تجاه أخيه النبيل هابيل.

هكذا أضمر غلاً و حقداً و نوايا خبيثة، نطق لسانه بكلمة جعلت في ذرية آدم شريعة جديدة من صنع الشيطان تلك الشريعة الدموية، نطق لسانه لأقتلنك يا أخي... رد هابيل عليه: افعل ما تشاء يا أخي لن أبسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله ربي و ربك... لم يبرد ذلك قلبه المتقد بل حمي وطيسه أكثر و ذهب لأبيه معاتباً : لقد دعوت لهابيل و لم تدع لي لذا لم يُتَقبل قرباني .

الآن أصبحت بذور الحقد شجرة من زقوم و فتح باب نفسه لإبليس و أودعه لجامها فأوحى إليه بتنفيذ ما نوى فعله :حان الوقت يا قابيل قم

و اقتل أخاك...هناك أمم من ذريتك تترقب... تبغي تعلم فنون القتل... افعلها يا قابيل و سينال قلبك ما يريد... لقد وعدت الله أنني لن أدع بشراً إلا أغويته إلا المخلصين... لكنك لست مخلصاً يا قابيل... أنت تشبه الشياطين... ليتك خلقت من نار و شهدت تمردي على الخالق... لكن الفرصة سانحة أمامك الآن لتكن أنيسي في قعر جهنم.

أنا قابيل الملعون من سن القتل أنا السفاح الأول ليس لأنني سأقتل نفساً واحدة لكن لأنني قتلت ذرية عظيمة من ظهر هابيل و علمت شياطين الإنس من بعدي سفك الدم.

في ليلة سوداء كان أخوه يغط في النوم، نهض من مضجعه نحوه ، الآن حانت لحظة الجريمة الأولى لكن كيف سيفعلها كيف يتم القتل ظنه أمر عسير ، في تلك اللحظة المباركة لإبليس لم يكن ليتركه عاجزاً، أتاه يحمل طيراً و حجراً فهشم بالحجر رأس الطير فسال دمه ، بسيط هو الأمر يا إبليس... أنظر إلى تلميذك كم هو مجتهد ، حمل بين يديه صخرة من جبال الأرض و إذا بيده الملعونة تنزلها على رأس هابيل الطاهر فسال دمه ليروي التراب... لتشهد الأرض و السماء بأنه قد سفك الأخ دم أخيه و أن قابيل أول ملعون و فاسق .

هل تراه قد زال حقده هل تراه قد شفي قلبه من سقم الغل، لا و الله، كل قطرة دم من أخيه جعلته يتجرع كؤوسا من الندم و الخيبة، كل يوم يثقل ميزانه كفلاً من ذنوب القاتلين، عله قال يا ليتني لم أفعل، يا ليت يدي أصابها الشلل، يا ليتها صارت تراباً قبل أن تمس أخي بسوء.

حمل جسد أخيه على ظهره يجوب الأرض لا يدري كيف يتخلص من جثمانه دون أن يراه أحد، و إذا بغرابين يقتتلان فيقتل أحدهما الآخر و إذا به يحفر في الأرض و يضع المقتول تحت التراب و يواريه ، هكذا علمه إبليس كيف يقتل أخيه و علمه الغراب كيف يدفن أخيه و يواري سوءته ، تعلم من الشيطان و من الغراب و لم يتعلم من أبيه أول الأنبياء.

منذ ذلك اليوم لعنه ربه و أبيه و نفسه ،عاقبه ربه بأن علق ساقه في فخذه و جعل وجهه إلى الشمس تلفح فيه كيفما دارت و أن أبقاه حياً هارباً يتعذب بذنبه ، أما أبوه فقد طرده و نبذه و حرم عليه رؤية وجهه الكريم، و نفسه عاقبته فقد تجرع كؤوس الخزي و العار طيلة حياته.

حزن أبيه على هابيل مائة سنة حتى بشره الله ب (شيث) ثاني أنبياء الأرض ليرث منه الخير و الرحمة و يهون عليه ألم فراق هابيل، أما

قابيل فقد طُرد شرق الأرض شقياً منبوذاً ، الزرع لم يعطه ثماره كالسابق فصار شقياً في فلاحة الأرض.

سكن مع زوجته بعيداً عن تعاليم أبيه تكاثرت ذريته و كثر أبنائه، بدل لهم شرائع أبيه النبوية، زادت بينهم الفواحش و الرذائل لكنهم لم يعبدوا إلا الله ،حتى أتاه نبأ وفاة أبيه و أن أخيه شيث قد ورث الحكم و النبوة. عام آخر ماتت أمه حواء و معها ماتت آخر تعاليم الخير من أبيه في داخله.

علم إبليس عشيرة قابيل الرقص و الغناء و الزنا و القتل، كل المنكرات زادت فيما بينهم، كان شيث يحرم على قومه المجيء إليهم حتى لا يفتنون ب نساءهم العاريات و حتى لا يضمر الإيمان و يسود الفُجر، لكن كانت هناك قوة إبليس الخفية الملعونة جعلتهم يتوافدون إليهم و يشاركونهم فواحشهم ، فبقى القليل من أهل الخير مع شيث .

ثم إن ذرية قابيل اشتكت له حرمانهم من زيارة قبر أبيه المبارك، فصنع لهم تمثالاً لأبيه يكن لهم ذكراً لآدم و مزاراً، لم يكن يدر بخلده أنه شرع لهم من بعده عبادة الأصنام أيضاً.

هكذا عاش ملعوناً و فاسقاً عاش نادماً على جريمته و على هجره لأبيه، منذ أن تحالف مع إبليس لم ير خيراً لم تهنأ نفسه لم تشفى روحه من سقم الحسرة إلا بالموت، هكذا مات و مات معه الإيمان في ذريته فترك ذرية فاسقة فاجرة يسود فيهم الزنا و القتل و عبادة الأوثان فظلت تتوارث الكفر و العصيان عاماً بعد عام و قرناً بعد قرن و عهداً بعد عهد ، رحل قابيل و بقي القتل و سفك الدم شريعة متوارثة ، شريعة السفاحين.

(تمت بحمد الله)

(٢) النمرود بن كنعان

زاهاك بن كوش، شولجي ، حمورابي

٢٠٠٠ ق.م

النمرود سمعنا كثيراً عنه لكن النقطة المثيرة أنه لا نستطيع بالتحديد معرفة حاكم العراق القديم الذي تم تلقيبه بالنمرود، لذلك نحن أمام ثلاثة من الملوك الذين ذاع سيطهم و طغى ملكهم ، و إن كان الأقرب هو زاهاك(مردوك) بن كوش لأنه حكم البلاد فترة كبيرة جداً قد تفوق خمسمائة(٥٠٠) سنة لذلك من الممكن أنه لحق إبراهيم في أواخر ملكه، رغم أن بعض الكتب التاريخية تشير أن ملك الإحراق هو (شولجي) بينما ملك المحاجاة هو (حمورابي) و إن كانت بعض كتب التفسير الإسلامية تذكر أنه ملك واحد أمر بالإحراق و حاج إبراهيم و هو الأقرب لكي يكون النمرود و هو زاهاك أو الضحاك

****زاهاك بن كوش بن كنعان**: في مدينة بابل العظيمة حيث يلتقي نهري دجلة و الفرات فيشكلا أرضاً خصبة في وسط العراق على طريق القوافل حيث التجارة نشأت الحضارة البابلية ، بعد ارتحال أبناء نوح و**

أحفاده ثم بدأ غي الشيطان يؤثر على العقول فاندثرت عبادة الله الواحد و انتشرت عبادة الأصنام و الكواكب و عناصر الطبيعة، فعبد الناس الشمس و القمر و الماء و الأرض و النار و أصنام عشتار و إنانا و مردوك ، لذا ساد الشرك في مناطق العراق القديم بابل و أشور و أور(حيث ولد إبراهيم الخليل)، و سيطر على العقول اعتقاد أن الجسد يبلى و الروح تذهب للعالم السفلي و لا تزور الجسد أي أنه بعد الموت لا حساب و لا عقاب، فانتشر الظلم و الفساد و التجبر في الأرض و ظهر باغي مجرم عاث في الأرض فساداً لقبته كتب العرب بالنمرود.

مردوك ابن كوش ملك بابل و أشور و عظيمهما، يوم مولده شرب أهل بابل الفرحة حتى ثملوا، و أسرفت آلهة بابل في حسن صنيعها فأخرجته في أبهى صورة، و إني لم أجد من هو أسعد من إبليس بمولده فقد حل على الأرض أول جبار و ساحر و متمرد عرفه تاريخ البشر.

بعد أن بلغ مبلغ الشباب سلطه الشيطان على أبيه فنصب له فخاً قاسياً و قتله، ثم اعتلى عرش بابل و كان أول من وضع التاج على رأسه، فعتى و فسق و تجبر، خاض الحروب و انتصر فيها واحدة تلو الأخرى و وسع أرجاء مملكته و صار أعظم ملوك الأرض و أقواهم ، خضعت تحت

أقدامه و تصدعت ممالك الأرض كلها.

تزوج بشميرام(سميراميس) رمز الجمال و الفتنة في بابل كانت قد دق لها قلبه بعنف عندما رمقها أول مرة مع أحد وزرائه، فآثرها لنفسه، و ألقى بذلك الوزير من فوق قلعته ففرش الأرض بدمائه، أما سميراميس فلم يؤلمها موت زوجها السابق فقد ظفرت بأعظم ملوك الأرض.

حكم بابل بالحديد و النار و بنى صنماً عظيماً له في معبد (أور) يتعبد له الناس (تمثال مردوك)، و ظل الناس في الغي و الضلال و ظل هو في البطش بهم و التنكيل، من ضعفهم و ذلة نفوسهم نصب نفسه إله بابل العظيم و جعلهم عبيده، حتى زاره في منامه كابوس إبراهيم.

رأى كأن كوكباً متوهجاً خفت بسببه ضوء الشمس ، و كأن فارساً في السماء فوق صهوة جواده يهبط كالسهم نحوه ليفتك به، و تم التأويل أنه عما قريب سيولد طفل سيكون سبباً في زوال ملكه.

ابن كوش العظيم الذي فتك بكل أعدائه و خضع جموع أهل بابل تحت حذائه، كيف سيحدث له ذلك، أيها الجند فلتتأهبوا بسيوفكم و رماحكم، اقطعوا رقاب كل الأطفال و اغرزوا رماحكم في قلوب أمهاتهم الثكالى إن أظهروا غضباً من فرماني.

قوة الشيطان لم تجدي نفعاً فلم تطال أيديهم إبراهيم، و نشأ في بيت (آزر) الحداد أول من تمرد على المتمرد الأكبر(النمرود).

كبر إبراهيم، دعا الناس لعبادة الله الواحد ، و في أيام عيدهم ادعى السقم و العياء فتخلف عن الحضور، ذهب لمعبد الآلهة ، حطم أصنامهم بيمينه و جعلهم جذاذاً و ترك صنم النمرود (مردوك) سليماً و على كتفه ترك فأسه، جاء الناس إلى النمرود يستغيثون بعد أن أقام إبراهيم عليهم الحجة عندما طلب منهم أن ينطقوا آلهتهم ، فأمر بإحضاره لبلاط قصره فأتاه شامخ الرأس عزيز النفس يجادله حرفاً بحرف.

- من ربك يا إبراهيم الذي أمرك بتحطيم تماثيل الآلهة... ما القدرة التي يملكها و ليست لدى النمرود إله بابل؟

_ ربي الذي يقبض أرواح البشر فيموتون ثم يمنحها لهم فيبعثون أحياء أمام عزته ليحاسبهم على أعمالهم.

- فلتحضروا لي أيها الجند اثنين من سجناء زنزانتي... أنت سأصفح عن روحك فتحيا ... و أنت سأشنق عنقك فتموت تحت مقصلتي، فلتنظر يا إبراهيم قد أحييت نفساً و حكمت بالموت على الأخرى، الآن أنا مثل ربك؟

_ إن كنت تظن بهذا الفعل أنك تحيي و تميت فلتبقى على عنادك أما ربي فإنه يجعل الشمس كل صباح تأتي من المشرق فلتأت بها –إن كنت تملك القدرة- من المغرب

-ماذا تقول ! أيها الحرس خذوا إبراهيم و لا تفلتوه...إني سأكيد له كيداً عظيماً و لسوف أثأر لآلهتكم و لنفسي... فلينزعك ربك من قبضة النمرود يا إبراهيم.

أجل، مثلما أخرص ألسنتهم قد وضع فوق لسانه حجراً و بهت أمام حجته، فأمر كل الناس بجمع الحطب و الوقود فظلوا يجمعون شهراً كاملاً، حتى إذا انتهوا و أشعلوا نيراناً عظيمة يرى ضوؤها خارج بابل و أور و يشعر بلهيبها كل أهل بابل ، عندها أمر النمرود بإلقاء إبراهيم بمنجنيق قذفه و ألقاه في منتصف جهنم الأرض التي أشعلها، بعد أيام ذهبوا لجمع رماد إبراهيم فحدث أن جمع إبراهيم رماد قلوبهم المحترقة...لم تمس النار شعره و لا جلده و لا خيطاً واحداً من ثوبه... خرج منها كأنما كان في الجنة ، و دحره رب إبراهيم مرة أخرى و أخزاه و أدرك بأن هذا الرجل ليس من عبيد النمرود و زاهاك لا قبل له به.

لقد استهان به ، ظن أن قوة الشيطان التي تتملكه سوف تمكنه من رجل فعل مالم يجرؤ ملوك الأرض على فعله ، كان يملك قوة أخرى تنهار أمامها قوى الشر أجمعين.

بعد تلك الحادثة بدأت اللعنات تنزل فوق رأسه صباً، عذبه الله في الدنيا أشد عذاب ، تألم فيها أشد ألم، خرج من منكبيه ثعبانان يتلويان و يصدرا فحيحهما كل حين و لا يهدئان إلا عندما يقطع رأسين لطفلين كل يوم فيلتقمون رؤوس الأطفال ليتجنب أن ينهشا لحمه.

ثم إنه قد أتاه أحد الملوك كان قد آمن بدين إبراهيم و غاظه ما كان يود أن يفعل بإبراهيم و أراد أن يوقف الدم الذي أساله من شريان بابل، أتاه محذراً و متوعداً إن لم تُسلم لدين إبراهيم فلن تَسلم من عقاب الله و جنوده في الأرض، فأراد النمرود أن يسحقه كمن قبله و يهزمه شر هزيمة، فقال له فلتجمع جموعك و لتترقب جيش يأتيك ككثيب الرمال يبيد جيشك و أتباعك.

أمام أسوار بابل خرج بجيشه ، رأى جيش (كاوي) فئة قليلة لا تستحق خروج عظيم بابل ليقاتلها ، الآن هذا الجيش الضعيف لن يصمد أمامه بضع دقائق و لن يدع أحداً إلا و أعمل فيه سيفه و خنجره، هذا ما جال

في خاطره، أما ما حدث هو أنه هزمه جيش آخر و أباد جيشه عن بكرة أبيه.

رأى الجيشين جيشاً آخر من البعوض يسد الأفق و يحجب نور الشمس ...لقد كان كابوساً يراه النمرود متيقظاً... لقد انقض ملايين من البعوض على جيشه يفترس لحمه و يشرب دمه... من كل أنحاء الأرض حولهم لا مجال للهرب... فتك بهم البعوض و غطى الأرض بجثث جنوده... و هرب من تلك الوحوش المفترسة إلى قصره في بابل يلهث كالكلب و يتصبب عرقاً يرتجف من هول تلك الفاجعة.

لم يكد يهدأ قلبه من خفقانه الشديد و قد شعر ببعوضة تدخل أنفه و تنخر في لحم رأسه حتى استقرت في نسيج عقله، قد أراد مرسل ذلك الجيش أن يعذبه في دنيا هو مالكها بمقدار تعذيبه لأهل الأرض، تهدأ تلك البعوضة حيناً و تثور داخل جمجمته أحايين و كلما ثارت يصيبه ألم مميت و صرع شديد يتلوى منه جسده و صراخ يملأ جنبات القصر فيتشفى عند سماعه كل من طاله ظلمه، و لم يجد الأطباء قاتلاً للألم و لا مسكناً ، فلم يكن يهدئ وجعه إلا النعال التي يضربون بها وجهه و رأسه، و هكذا أراد أن يجعل الناس تحت حذائه ، فأراد الله أن يجعل

الحذاء شفاء دائه.

جيش (كاوي) اقتحم بابل و أمسك بجبار بابل ضعيف مستكين لا يكاد يستفيق من ضرب النعال، و عُلّق النمرود في إحدى الجبال على الأوتاد قليل الحيلة حتى مات من شدة ألم البعوضة التي تنخر في لحم رأسه ، مات أول ملك جبار في التاريخ في خزي و مذلة، و ذلك الشيطان الذي أعانه و سلطه على الناس لم ينفعه عندما حل به عذاب رب العالمين و انطوت صفحة النمرود و لم ينتهي بعده شياطين الإنس و سفاحين الزمان.

تمت بحمد الله

(٣) فرعون موسى

رمسيس الثاني

١٢٩٠ ق.م

يقولون عنه: ابن الإله آمون الذي جاء بالبشرى لأهل مصر عندما غمر البلاد فيضان الرخاء-فيضان النيل العظيم- ، منذ أن استنشق هواء طيبة النقي و زفر هواء رئتيه النتن، منذ أن بصرت عينيه الثاقبة الغاضبة حقول مصر الواسعة و كنوز أرضها و خيرها الوفير ، منذ أن تحرك، منذ أن تكلم، منذ أن وطأ الأرض بقدميه، و مصر أدركت أنها على وشك تسطير تاريخ جديد معتم و حقبة سوداء.

نشأ رمسيس في قصر الفرعون في ترف و نعيم ، خدم و عبيد يُسخرون لخدمتهم، جنود يملؤون الأرجاء لحمايتهم ، جواري فاتنات يشبعون شهوتهم، و شعب خلف القصر يمجدهم و يعبدهم.

أبناء الآلهة في نظرهم لا ينبغي لهم أن ينعتون بالأطفال ، لا يكبرون كسائر الأطفال ، نسل الآلهة يرضعون من زوجات آمون و رع و يبلغون أشدهم ببركة و عناية حورس العظيم، لكي يغدون ملوك مصر و يسري

بأجسادهم الدماء الملكية ، لكي يصيرون سلالة آلهة مصر التي لا تنتهي.

عشرة أعوام فقط تمر من عمر رمسيس جعله أبوه (سيتي) شريكاً في الحكم و السلطان ثم بعد بلوغه الثالثة عشر أعلنه ولياً لعهده و ألبسه تاج الإله آمون، أراد أن يشهد بهاء و عظمة الفرعون المرتقب قبل أن يذهب إلى الحياة الأبدية ، فرأى حنكته و براعته في حكم البلاد التي أعطاه مفاتيحها.

زوجه من فتاة يجري في عروقها الدماء الملكية أجمل جميلات طيبة (نفرتاري) في السادسة عشر من عمره، ثم أصابتها لعنة شريرة جعلتها تفقد أبناءهم و هم رضع واحداً تلو الآخر فذهبوا إلى آلهة الإخصاب و القوة يتوسلون إليها أن تمنح الحياة لأبنائهم لكن بلا جدوى، لم يدركون أن القدر يسوقهم لمصير لا مفر منه.

رحل سيتي إلى الغرب في يوم بكت فيه طيبة و ما حولها و معه ما يكفيه من كنوز مصر و من العبيد و الزوجات لخدمته في العالم الآخر، فصار رمسيس فرعون مصر الجديد في الخامسة و العشرين من عمره، بيده العصا و السوط و على جبهته الكوبرا الملكية و فوق رأسه تاج

الحكم ثم كتبت الآلهة اسمه على شجرة الخلود و منحته الحياة الأبدية و أصبح الإله حورس المتجسد حاكم البلاد في نظر أهل مصر.

أعلن نفسه الكاهن الأكبر لآمون و تزوج بزوجته الثانية ذات طبع الملائكة (إست فرت) فتكررت معها مأساة نفرتاري، و أدرك أن بأرض طيبة تكمن اللعنة الخفية التي تجعله يذوق ألم فقدان أبنائه، فشرع في تغيير عاصمة البلاد و بناء عاصمة جديدة (برعمسيس) على أرض خصبة بالقرب من مساكن العبيد الذين سكنوا مصر عهد يوسف (بني إسرائيل) فقام بتسخيرهم في بناء مدينته الجديدة و شيد قصره البديع على شاطئ نهر النيل.

رأت مصر بربوع أرضها عظمة الفرعون الجديد و حتى لحظة قراءتك لكلماتي، ستجد بمصر آثاراً لمعابده المزخرفة و تماثيله الشاهقة و مقابره الزاخرة بالكنوز و مسلاته العالية حتى وصفه القرآن الكريم (بذي الأوتاد)، و رغم ما لحق بها من هلاك و تدمير فلا يخفى على أحد أن رمسيس أعظم فراعين مصر.

ثم جاء وقت الحرب تحرك بجيوشه و هزم الفينيقيين، ثم توغل في أرض الحيثيين حيث انضم إليه اثنان من بني اسرائيل أخبروه أن الأرض

ممهدة و أن العدو متقهقر أمامه، فتقدم الصفوف، و إذا بالعدو يباغته و يبيد فرقة جنود (رع) عن بكرة أبيها، فأدرك خديعة الخائنين و استبسل بأرض المعركة حتى وصفته الكتب كالشمس يحرق جنود العدو حتى فروا هاربين كالجرذان و أسر منهم الكثير، و انتصر بقادش رغم أنه لم تتحقق أهدافه بسبب الخيانة، ثم عاد إلى مصر منتصراً يتملكه الزهو و الكبرياء و عهد إلى كاتبي التاريخ بتدوين النصر و خديعة بني إسرائيل على جدران المعابد لتتهيأ مصر بما سوف يفعله بهؤلاء العبيد.

بلا ذرة شفقة أو رحمة قام بتسخيرهم و تعذيبهم و التنكيل بهم جعلهم يتمنون الموت ليكن خلاصاً لهم من هذا الذل، بعد أن كانوا أشراف مصر عهد يوسف هم الآن عبيدها و مستضعفيها.

في إحدى الليالي رأى في منامه كأن ناراً تأتي من بيت المقدس فأحرقت ديار مصر و المصريين و تركت ديار بني إسرائيل في (جاسان) لم تضرها، قام فزعاً جمع الكهنة ليفسروا حلمه فابتلعوا ألسنتهم خشية أن ينالهم غضبه من تفسيرهم، حتى أخبروه أخيراً أنه سيولد في بني إسرائيل غلاماً يكن هلاكاً لحكمه و سلطانه و مخلصاً للعبرانيين.

أصدر رمسيس أوامره بذبح كل مواليد بني إسرائيل الذكور و سبي الإناث، فذاقت بنو إسرائيل وبال أمرها و عاشوا أياماً سوداء حتى كاد يبيد ذريتهم، ثم أدرك أنه بحاجة للعبيد منهم فرفع آلة القتل عاماً و أعملها فيهم عاماً.

في أحد الأيام بينما تلهو زوجته(إست فرت) على الشاطئ أمام قصره إذا بها ترى تابوتاً يتهادى و يستقر على حافة النهر ، فأمرت جواريها بإحضاره و فتحه، فرأت طفلاً سرق قلبها و أسره ، فنادت فرعون فأتى لها و علم أن التابوت يأتي من أرض (جاسان)، فأصدر أمره بذبح الرضيع فتشبثت به زوجته تستعطف قلبه و تلينه نحوه فقد حُرما سبعة أعوام من الولد كما أنه مر على زواجه الأول سبعة عشر عاماً،: يا فرعون مصر قرة عيني و عينك نتبناه و نتخذه ولداً... أجابها بكبرياء الفرعون: هو قرة عينك لا عيني سأصفح عنه إكراماً لكي ... لمعت عيناها و دق قلبها و أخذت الطفل و سمته (موسى)، لو كان يعلم أنه سيغدو عدوه و هلاكه لما نظر لدموع إست فرت ، لو علم أنه سيبدل دينها و يجعلها تنبذه لما سمح لها بتبنيه، لكن نفذت الإرادة العليا.

نشأ موسى في قصره تعتني به (إست فرت)و تغمره بحنانها لكنه قلما أسبغ عليه عطفه فهو لا يريد أن يرث ملكه ابناً لا يعرف هويته و ليس من صلبه، كان لا يأخذه إلى احتفالات و أعياد طيبة و لم يودعه الكهنة ليعلموه دين أهل مصر ، أهمله قصداً فندم على ذلك فقد ظن أنه لو أشرب قلبه عبادة آلهتهم لما تمرد عليه.

بلغ موسى الخامسة من عمره فولدت إست فرت ابنا و عاش ثم ولدت نفرتاري، و تعاقب أبناء رمسيس و كثروا حتى قيل أنهم بلغوا مائة، و انتهت اللعنة بعد أن تبنوا موسى.

بلغ موسى خمسة عشر عاماً ، و علم أن رمسيس و إست فرت ليسا أبويه فبحث عن ذاته و نسبه و علم أنه ابن عمران من بني إسرائيل فانضم لهم و صار سيداً عليهم و انقطعت علاقته بقصر الفرعون إلا قليلاً ما كان يأتي ليرى (إست فرت)، مرت الأيام و رمسيس يضيق الخناق على بني إسرائيل و ينكل بهم فيجدون موسى يخفف عنهم، قد كان يشعر أنه قد يكون الفتى المخلص لكن كبريائه و تجبره و تطويقه للعبرانيين من كل جانب جعله يطمئن أنهم ليس لهم سبيل إليه فهو ابن الآلهة كيف بحفنة عبيد أن يمسوا ملكه.

في يوم من أيام أعياد مصر خرجت المدينة تحتفل و صارت خاوية من سكانها، فوجد موسى و قد بلغ أربعين عاماً وجد رجلين يتعاركان أحدهم مصري و الآخر عبراني ، فاستغاثه ابن جلدته فلكم موسى المصري فسقط ميتاً، و علم فرعون بما فعله موسى، فأرسل في طلبه ليقتص منه فكيف له و هو عبد كافر بدينهم أن يقتل مصرياً، لم يكن يعلم أن (حزقيل) -و هو أحد كبراء حاشيته و أخ زوجته- قد شرب من كأس الإيمان فذهب لموسى و حذره من بطش فرعون فهرب موسى لأرض مدين.

مرت عشرة أعوام أخرى و قد بلغ حكمه لمصر ستين سنة فظن بجهله أن الآلهة منحته الخلود و صار إلهاً لمصر، و في يوم عيد (اليوبيل) الحادي عشر، عاد موسى لمصر متمرداً عصياً على كفر و فجر رمسيس و طلب مقابلته مع هارون أخيه، أضمر في نفسه أنه لن يدعه يخرج من قصره و أن موسي قد أتى لهلاكه، فسمح لهما و كانت المواجهة في بلاط قصره و أمام حاشيته من وزراء مصر و خاصته و من شيوخ بني إسرائيل اللذين خضعوا لحذائه.

دخل موسى يلقي عليه تحية و سلاماً فذهل من لين حديثه ثم قال له: إن لك رباً و إن لك معاداً و إن بين يديك جنة و ناراً فآمن بالله يدخلك الجنة و يقك عذاب النار، فرعون يعلم أن موسى كافراً بعقائده فأراد أن يجعله يفرغ ما في جعبته فيقيم عليه الحجة، و لم يدر الأحمق أن حجته داحضة و حجة الأنبياء بينة و قاطعة، فقال له حدثني عن ربك، فأجابه: هو من خلق كل شيء و هداه هو من جعل الأرض ممهدة و ألقى فيها سبل الحياة و أنزل مطراً فأخرج زرعاً و ثماراً تختلف في لونها و مذاقها فمنها ما ينفعكم و منها ما ينفع أنعامكم و هو خلقكم من الأرض و ستعودون للأرض و منها تخرجون مرة أخرى للحساب أمام خالقكم هو ربكم و رب آباءكم رب الشمس يحركها من الشرق للغرب رب السماوات و رب الأرض، فأسقط في يده و تلعثم لسانه ثم قال: إنك مجنون يا موسى لئن اتخذت رباً غيري لأقتص منك، بعد أن نشأت في قصري منعماً أعواماً ترتع و تلعب تأتي بعد تربيتنا لك جاحداً كافراً و قد قتلت منا نفساً، فتكلم موسى :ضللت فقتلت نفساً خطئاً ثم خفتكم ففررت منكم ثم عدت و قد حملني ربي رسالة أبي إبراهيم فصرت أنا و هارون

رسل الله إليك نأتيك بأية عظيمة فلتسمح لنا بإخراج بني إسرائيل لأرض كنعان و كفاك إذلالاً لهم.

قد قال موسى أنه يملك آيات من ربه فضحك فرعون ضحكة ماكرة ظناً منه أنه يدعي و لا يملك شيئاً، فطلب منه أن يخرج آياته إن كان صادقاً، فألقى موسى عصا يده فصارت ثعباناً عظيماً يقول البعض أنه قد فاق طوله خمسة و عشرين متراً إن تركه موسى عليهم لابتلع فرعون و حاشيته، فزعوا و ثاروا و تملكهم الخوف ... أن يروا بعضاً من قدرة الله فذلك ثقيل على قلوبهم الهشة... لكن موعدهم ليس الآن... أمره موسى فعاد الثعبان المتحرك جماداً ساكناً، ثم أخرج أيته الثانية، وضع يده في جيب ثوبه فصارت بيضاء ساطعة أنارت جنبات قصر رمسيس و ما حوله.

أسرع فرعون يخاطب من حوله كي لا يفتنون بعظم ما جاء به موسى، خاطب كبراء مصر و خاطب شيوخ بني إسرائيل: إن الأرض أرضكم و موسى يريد أن يخرجكم منها... إنه لساحر كبير... و لأثبتن لكم كيده... فمصر أرض الساحرين... لأجمعن علماء السحر من أقاليم مصر... و

لسوف يدحرون موسى... و بعد هزيمته سألقيه في السجن ، فلتذهب يا موسى و موعدنا ضحى يوم الزينة.

يوم الزينة يوم تتزين فيه مصر و أهلها كانت المواجهة، جلس على عرشه في منتصف الساحة و خلفه كبار الجند و الوزراء و شيوخ بني إسرائيل و أمامه جانب به السحرة و خلفهم أهل مصر و بالجانب الآخر موسى و هارون و خلفهم أهل بني إسرائيل، بدأ السحرة بقراءة طلاسمهم ثم ألقوا الحبال و العصي فأوهموا الجميع أنها ثعابين تسعى حتى أرهبوا موسى نفسه ، لكن موسى قال لهم بثبات الأنبياء أن عملهم خيال و سحر محض أما عمله فهو معجزة إلهية حية، ثم ألقى عصاه فتشكلت ثعباناً عظيماً لقف في جوفه عصي و حبال سحرة فرعون و الجميع في وجوم...صمت الخزي و الهزيمة...سكون الضعيف أمام قدرة الله و إعجازه... فهلل بنو إسرائيل... سجد موسى و من معه ...سجد وراءه السحرة مرددين آمنا برب موسى و هارون... عمل موسى ليس سحراً... قضينا نحبنا نتعلم السحر لكن ما رأيناه معجزة نبي ، فاستشاط فرعون غضباً و ألقى القبض على السحرة و صلبهم في جذوع النخل بعد أن قطع أيديهم و أرجلهم و تهمتهم كانت

الخيانة... نعم الخيانة تلك... ما نقم منهم إلا الإيمان، و ترك موسى خشية أن ينال منه بسحره ظناً منه أن موسى كان ساحراً.

بدأ الناس يتداولون أخبار ذلك اليوم حتى شاع في المدينة أن موسى هزم فرعون و أنه على الحق المبين ، فأخمد الفتنة و أقام المذابح في بني إسرائيل و قهرهم... الفئة المستضعفة التي يمارس عليها فنون بطشه... أعلم الجميع أن يوم الزينة لم يفت في عضده بل أصبح أشد فتكاً بمن يقارعه ، بينما موسى كان يثبتهم و يشد أزرهم و يعدهم بالخلاص، و بدأ يوحدهم و يهذب نفوسهم بالصلاة و العبادة، فأدرك فرعون أنه لا ينبغي له أن يحيي نفوسهم التي أماتها الذل، أنه لا ينبغي أن يمنحهم إرادة سلبها منهم أو قوى خارت أمام بطشه فسلط عليهم (قارون).

كان قارون من شيوخ بني إسرائيل المقربين لفرعون و كان عم موسى، كان سوط فرعون و صوته في بني إسرائيل باغيا و متسلطاً عليهم كي لا يتملصون من أعمالهم فكان يأكل قوتهم، و قد جمع ثروة و كنوز جعلته من أثرياء مصر و بنى قصراً بأرض الفيوم و كان كافراً بدين موسى ، قد فرق وحدتهم بأن جعل طائفة منهم معه ، ذات يوم دفع أجراً

لزانية و أمرها بأن تلقي على موسى تهمة الزنى لكنها أنكرت عندما استحلفها موسى، فلم يكف عن إغواء بني إسرائيل و التدبير لموسى فلم ينجح في ذلك، ثم خرج في أبهى زينته يكتسي الذهب ممتطياً حصانه مرصعاً بالديباج و حوله الخدم و الجواري... فتن بني إسرائيل من حول موسى... خاطبه أنه أفضل منه و أعظم... أن موسى لم يؤتى من الدنيا مثلما أوتي... أن تدفع الأنبياء للعنك و مقتك فأنت بالفعل أحمق... أحجبة السماء يبددها دعاء الأنبياء... دعا موسى على قارون فابتلعته الأرض بقصره و كنوزه... خفت نجمه... هلك تحت الأرض التي اختال فوقها ، و عادت طائفته لموسى نادمين فوحد موسى بني إسرائيل من جديد، تسرب الرعب لقلب فرعون عندما سمع بأمر الخسف و عزم على قتل موسى .

عندما علم (حزقيل) بما ينوي فرعون فعله حذره من عاقبة قتل موسى و ذكر له أقواماً عصت الرسل فذاقت وبال أمرها و ذكر له يوسف عليه السلام الذي لم يؤمن به الكثير رغم أنه أغاث مصر من المجاعة ،ثم جهر بإيمانه مع زوجته (إست فرت)، و بدأ ترياق التوحيد يشفي أقرب الناس إلى فرعون من سمومه، لكنه لم يكترث لذلك، أما حزقيل فقد

هرب إلى الجبال خوفاً من بطشه فأرسل رجاله خلفه لكنه نجى، و أما زوجته فقد حرمها الحياة الأبدية حسب ظنه بمنع تحنيطها و عذبها في الصحراء حيث ربطها في أوتاد أربعة و وضعها في لهيب الشمس و لم يبن لها مقبرة و لم يظهرها بجواره في أعياد طيبة.

جاءت له ابنته في يوم من الأيام تخبره أن ماشطتها قالت لها أنها تعبد رباً غيره و هو رب موسى و ربه، أحضرها إليه و أمرها بالكفر بدين موسى لكنها لم تذعن لأمره ، كان لها خمسة أبناء تنفق عليهم منهم رضيع فأحضرهم جميعاً، و قام بصب الزيت في قدر كبير و أوقد تحته النيران حتى غلى و فار، أحضر ابنها الأول على شفا حفرة من الزيت المغلي كي تعود عن دينها فأبت و استعصمت ، فألقى به في الزيت حتى أكل لحمه و طفا عظمه الأبيض و هي تودعه بدموعها، ثم ألقى الثاني فالثالث فالرابع و لم يزعزع ذلك إيمانها قيد أنمله، حتى سلب الرضيع من بين يديها عندها كادت ترتد عن دينها فثبتها الرضيع في معجزة عظيمة و نطق في المهد: أماه اصبري فأنت على الحق... موعدنا الجنة و النعيم، فألقى به في الزيت و لم تجزع أمه، حتى أمسك الجند بها ثم قالت له : اجمع عظامي مع أبنائي و ادفنها في قبر واحد... تلتقي

الأرواح الطاهرة معاً و لا تفترق، فأمر بإلقائها حتى ذاب لحمها و تغطى سطح الزيت بعظامهم، و قتل أسرة آمنت بموسى قتلة فاجر كافر، أولا يستحق أشد العذاب...أولا يستحق أن يعرض على النار غدواً و عشياً.

لم يتمكن من قتل موسى لكنه بدأ يبرهن للناس أن موسى أمام عظمته لا يساوي شيئا، فهو مهين لا يكاد يبين... فقير لا تنفك عقدة لسانه لا يحوطه ملائكة ... لم يلقي عليه ربه ما يطوق عنقه بالذهب ، هكذا رأى موسى، أما هو فإنه الفرعون مالك مصر... تجري الأنهار تحت قصره، يسجد الناس تحت عرشه... إله مصر و ربها... مطعم الناس و مسقيهم، ثم طلب من هامان بناء صرح عملاق عله يبلغ أسباب السماوات فيطلع إلى رب العالمين، و هكذا بلغ ذروة الضلال و الغي و الفسق .

بدأت لعنات السماء تصيب مصر بعد ذلك، فقد انحصرت مياه النيل، ساد الجفاف و قل الزرع ثم استبشروا عند هطول المطر لكنه جعل فيضاناً عظيماً غمر الأرض و أهلك الحرث و النسل ، فأتاه موسى و هارون يخبراه أنها آيات متتالية من ربهم إن آمن و ترك لهم قومهم رفع الله عن مصر البلاء، فلم يكترث لهم، ثم جاءت اسراب الجراد يأكل الأعشاب و الأشجار، ثم القمل جاء و أفسد مخازن القمح، ثم ملأت الضفادع أرض

مصر و ملأت قصره ثم صارت أنهار مصر دماً و لم يعد لهم ماءاً يروي ظمأهم، ثم سلط الله عليهم البعوض فجعل الدمامل تسري في أجسادهم، ثم أصاب مواشيهم الوباء فهلكت ثم خفت ضوء رع(إله الشمس عندهم) فساد ظلام حالك أرض مصر ثلاثة أيام، و في كل مرة يعد موسى بإطلاق سراح قومه إن دعا ربه برفع الرجس و كل مرة ينقض عهده معه حتى جاءت لحظة النهاية و الآية الأخيرة.

لما استيئس موسى من هدايته ، و استيئست بنو إسرائيل من بطشه ، و كعادتهم فقد ذهبوا لعبادتهم في الصحراء لكن هذه المرة أسرى بهم موسى بقطع من الليل و وضعوا علامات على ديارهم و استعاروا ذهباً من أهل مصر، و كانت علامة خروجهم أن يسمعوا صراخ أقباط مصر على موت ابكارهم في تلك اللحظة و العقول مشتتة ، ذهبوا و هم ستمائة ألف عددهم و طال غيابهم عن المعهود فعلم فرعون أنه خروجهم الموعود ، فحنق و ثار و لحق بهم بجيشه فأدركهم عند حافة البحر تحوطهم الجبال و ظن أنهم الآن في قبضة يده، لم يدر بخلده أنه أحكمت عليه قبضة يد لن يفلت منها... قبضة عزيز جبار، فإذا بموسى يضرب البحر بعصاه فانفلق اثني عشر فرقاً ، أرض يابسة من البحر

وطؤها لا تعثر فيها أقدامهم و الماء صار كالجبال الراسية بينهم، هال فرعون ما رأى لكنه تمادى في عناده ، و أخبر جنده أن البحر انشق له ليلحق بهم، فأمر صفاً من الفرسان و مركبات الحرب بالعبور أمامه ثم تبعهم حتى كاد أولهم يصل للبر و موسى ينظر على الشاطئ ، بعد أن اطمأن لعبور قومه و تعثرت أقدام فرعون و هامان و جنودهما في وحل الماء انطبق البحر عليهم و غطى الماء جميعهم ، و أدرك فرعون أنه هالك لا محالة و ذاق سكرات الموت ، فشهد بإيمانه برب بني إسرائيل عله ينجيه، لكن هناك من كان يدس في فمه الطين ليسكت لسانه الملعون للأبد و هو جبريل عليه السلام، غرق جسده المشؤوم ثم طفت جيفته على سطح الماء و ألقيت أمام أعين بني إسرائيل على الشاطئ ،و صعدت روحه المنبوذة تلعنها الملائكة.

لم يذعن لموسى و لآياته التسع، فلم ينفعه إيمانه في لحظة موته، زعم أنه إله مصر الأعلى و هو يأكل و يشرب و يتبول و يتغوط و يجامع النساء و ينام كالفئران ، لم يشعر بعبق الإيمان الذي فاح في قصره و عطّره بكل سجدة من زوجته المؤمنة، أين هو و أين هي، هي خير نساء العالمين في الجنة، و هو أدخله الله أشد عذاب جهنم يشرب الصديد و

المهل و يأكل من شجر الزقوم فتتمزق أمعائه و جلده يتبدل كلما أكلته النار لا هو يموت و لا يحيا.

ظالم، مفسد، مستكبر، مجرم، قاتل، كافر، طاغي، مضل، فاسق، مسرف كذاب، كلها من صفاته في كتاب الحق، لكنها لم تجمع كل شيء عن روحه النتنة و قلبه المتحجر، انطوت صفحته و هلك و انتهى عصري ، ستجدهم بلغة مصر القديمة يطلقون عليه (رمسيس الثاني) و ينادون زوجته(إست فرت) أما بلغة العرب فهو (الوليد بن مصعب) و زوجته المؤمنة هي (آسية)، كانت زوجته في الدنيا و نجاها الله من عمله، هو مع الشيطان في قعر جهنم و هي في جنة الخلد مع أشرف الخلق(محمد)، يقول صلى الله عليه و سلم: كمل من الرجال الكثير، و كمل من النساء أربع: آسية بنت مزاحم، خديجة بن خويلد، مريم ابنت عمران، و فاطمة بنت محمد.

رحل فرعون موسى بتجبره و فسقه و لم يدون تاريخ مصر الفرعوني شيئاً عن موسى باعتباره كافراً بآلهة مصر المزعومة بينما سجل التاريخ كل شيء عن رمسيس الثاني الذي حكم مصر سبعة و ستين(٦٧) سنة و كل الأدلة تشير أنه فرعون موسى . تمت بحمد الله

(٤) نبوخذ نصر

بختنصر

٦٠٠ ق.م

بسم الله الرحمن الرحيم: و قضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين و لتعلن علواً كبيراً،، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار و كان وعداً مفعولاً.

نبوخذ نصر هو أحد ملوك الأرض الأربعة الذين حكموها من شرقها إلى غربها، جاء بعد سقوط دولة الأشوريين فأعاد لبابل عظمتها و قدرتها، و هو من أكثر ملوك الأرض قوةً و دهاءاً و بأساً ، هزم الدولة الفرعونية و الأشورية و مملكة يهوذا و بسط نفوذه على الأرض كلها طيلة ٤٠ عاماً من حكمه، ثم بعد وفاته تولى حكم بابل ملوك ضعفاء انتهت على أيديهم الدولة البابلية بهزيمة مذلة أمام كورش ملك الفرس.

نبوخذ نصر تختلف فيه الأقاويل و الروايات، هل كان حاكماً موحداً متسامحاً أخرج فئة اليهود الباغية من فلسطين لكي يقيم دولة العدل، أم

أنه كان جباراً متغطرساً سلطه الله على بني إسرائيل ليردهم إلى دينهم بعد أن أفسدوا في الأرض، بوضع الأدلة التاريخية نجد أن الأقرب للعقل و الصواب أن نبوخذ نصر ما هو إلا ملك كافر طغى و تجبر على أهل الأرض و منهم اليهود ، حيث أخرجهم من أورشليم أذلاء صاغرين بعد أن بدلوا شرائع الأنبياء و عاثوا في الأرض فساداً و هو الأقرب لكي يكون المقصود في آيات سورة الإسراء.

تبدأ القصة عندما ضعفت دولة أشور و انسلخت عنها بابل و حكمها(بنوابل أوصر) والد بختنصر، هذا الملك الطامح تطلع لبناء دولة جديدة و أسرة بابلية جديدة(سلالة بابل الحادية عشر)، فقام بتوسيع مملكته حتى شملت جنوب العراق كله و بدأ يسلب أراضي الأشوريين فما كان منهم إلا التصدي له، فأرسل آخر ملوكهم رسالة لفرعون مصر (نخاو الثاني) يطلب مساعدته للهجوم على بابل و وأد تلك الدولة الطامحة قبل أن تقضي على الجميع ، فخرج فرعون مصر على رأس جيش كبير و تحالف مع آشور ضد بابل.

في ظل تلك الصراعات نشأ و اشتد عود بختنصر وصار قائداً عسكرياً محنكاً لجيوش بابل ، فخرج بجيشه لمقابلة الفراعنة و الأشوريين و

انضم له الفرس الذين طمعوا في أرض أشور ، و تقابلت الجيوش في معركة ضارية(كركميش ٦٠٥ ق.م) و أظهر نبوخذ نصر صلابة و قوة و حنكة في تلك المعركة ، هزم الجيش الفرعوني و أسقط (نينوى) عاصمة آشور و دمرها و أحرقها و هرب ملكها ، فكانت تلك المعركة آخر مسمار دقه بختنصر في نعش دولة آشور و تقدم بجيوشه بعد تراجع جيش فرعون مصر، فاستولى على سوريا و كل الساحل الفلسطيني و خضعت له مملكة يهوذا ، في هذه الأثناء مات أبوه فعاد إلى بابل و نصب نفسه الملك الجديد ، فأعاد لبابل رونقها و جمالها و أنشأ فيها المعابد و الحدائق البديعة منها كانت حدائق بابل المعلقة إحدى عجائب الدنيا السبع ، ثم بعد أن جعل بابل جنة الله في الأرض تطلع للغزو و توسيع الملك ، فكانت إرادة الله أن سلطه على اليهود في فلسطين فعاد ليكمل ما قد بدأه في عهد أبيه و توجه نحو أورشليم ٥٨٧ ق.م ، و سوف يحكي لكم أحد يهود أورشليم عن تلك الموقعة التي تحدث عنها القرآن و سردتها التوراة.

****

لا ينبغي أن يدان نبوخذ نصر على ما فعله في أورشليم، لا ينبغي أن يلام على التنكيل بالرجس القاطن بتلك البقعة المباركة ، نحن بني يهوذا أول من مكر بيوسف من الأسباط و حقد عليه، نحن من جعلنا من السامري المضل مخلّصاً، و جعلنا دماء الأنبياء حلالاً لأيدي القاتلين ، جعلنا المر حلواً و الحلو مراً، الحلال حراماً و الحرام حلالاً، جعلنا الظلام نوراً و النور ظلاماً، نحن يسري في دمائنا الفسق و الضلال، نحن قلوبنا طبع عليها فصارت أقسى من الحجارة لا تلين و لا ترق فقط تزيغ و تعرض و تمكر ليلاً و نهاراً.

بعد أن قتلنا الأنبياء و حرفنا شرائع الرب و سادت المنكرات و الفواحش و تبرج النساء ، بعد أن عبدنا الأوثان و قدمنا أولادنا لها قربان و عبثنا بالكيل و الميزان و قتلنا كل دعاة الإيمان ، و ظننا أننا شعب الله المختار و أن كل أهل الأرض دوننا كفار ، إن كنتم زائرينً لأورشليم في تلك الأيام فسأقول لكم قول الرب في التوراة: طوفوا في شوارع أورشليم و انظروا و فتشوا في ساحاتها هل تجدون إنساناً عاملاً بالعدل طالباً الحق فيصفح عنه الله، كيف يصفح الرب عنا، أولا يهلك الرب أمة كهذه ظنت أنه لن يريها شراً و لا سيفاً و لا جوعاً، ستجدون أمة لها أعين و لا

يبصرون، آذان و لا يسمعون، يعبدون غير الرب ، يخضعون لغير الرب ، لا يصدعون للحق، يشربون الخمر و يفعلون الزنا ، ينقضون العهد و يخونون الأمانة، أولا يستحقون أن يرسل الرب عليهم جبابرة بابل.

لقد عاش بيننا في تلك الأيام إرميا النبي و تنبأ بكل ما حدث لنا ، قال لنا ستحاصر أورشليم و ستسقط فلتخضعوا لجبابرة بابل فلا قبل لكم بهم، و إن الرب مسلطهم عليكم فلا مفر لكم منهم ، و لن تنفعكم مصر إن جاء الهلاك أسوار أورشليم، لقد تنبأ إرميا بسقوط أورشليم و سقطت ، و بخضوع مصر لبابل و خضعت ، و بخراب مؤاب و عمون و أدوم و عيلام و خربت، و لقد تنبأ بسقوط بابل على أيدي الفرس فسقطت و هلكت، و تنبأ بأن لنا عودة إلى أورشليم بعد السبي و قد حدث ذلك، أما ما كان منا فهو أن وضعناه في السجن و عذبناه و كذبناه فكانت كلماته صدقاً و عدلاً و جاءت جيوش بختنصر تحاصر أورشليم.

عامين من حصار شديد لأورشليم ، جيوش نبوخذ نصر على الأسوار تترقب استسلام بني إسرائيل ، صارت أرضنا سجن كبير و النبي إرميا يخاطب ملك اليهود(صدقيا) أن يخضع و يحفظ الأرواح من الهلاك و الأرض من الخراب لكن بلا جدوي ، زاغت أبصارنا و نحلت من الجوع

أجسادنا و فتكت الأوبئة بأرواحنا و خارت قوانا أمام قبضة نبوخذ نصر الحديدية على أورشليم ، و النبي إرميا يخاطب الملك أنه أمام خيارين إما أن يسلّم أورشليم فيسلم و يحفظ الشعب و الديار ، أو يُعرض و يرفض فبعناده يحرق بني إسرائيل ، لكن الملك صدقيا آثر حب نفسه و كبرياءها فلم يذعن لقول النبي.

بعد أن سقطت عزائم الشعب و لاح في الأفق لنبوخذ نصر أن أرض أورشليم قد تهيأت لوطأتها ، عندها فر الملك صدقيا عبر ثغرة في سور أورشليم خوفاً من أن يسقط في أيدي البابليين ، و تقدمت جيوش نبوخذ نصر تكتسح أورشليم ، فر أمام جحافلها الطير إلى السماء و انشقت تحت أقدام الجنود الأرض ، و هرع الشعب من مضاجعه لا يعلم وجهته و لا سبيله ، الغزاة نهبوا الديار و أحرقوها، أشعلوا قصر الملك و هدموا المعابد و قتلوا بالسيف كل من اعترضهم و أذاقوا الذل كل من قاومهم ، و سبوا و أسروا عشرات الالاف و أخذوهم أذلاء صاغرين إلى بابل ، أكلوا يا أورشليم حصادك و خبزك و غنمك و بقرك و أهلكوا بالسيف مدنك الحصينة و جعلوا أعزة أهلك أذلة و جاسوا خلال ديارك و انتهكوا عرضك و اغتصبوا أرضك ، أكل نبوخذ نصر أفنانك و جعلك إناءاً فارغاً

ثم ابتلعك في جوفه كالتنين و لفظك كلقمة مرّة بعد أن تلذذ من خيرك، لا أجرؤ يا أورشليم أن أعترض على هذا المصير، لا يملك لساني كلمات أطلب بها من الرب رفع العذاب عنك، فبما كسبت أيدينا يا أورشليم عاقبنا الرب أشد عقاب.

****

سقطت عاصمة اليهود في أيدي بختنصر و فر الكثير إلى مصر و وقع الكثير في السبي ، فسيق إلى بابل خمسين ألفاً في ما يسمى تاريخياً بالسبي البابلي الكبير ، و قيل أنه أطلق صراح إرميا النبي من سجن قصر ملك اليهود و جعله أحد كباري مستشاري ملك اليهود الجديد ،

ولم يبق في أورشليم بعد السبي و القتل و الهرب إلا حفنة من المساكين و الفقراء و العمال و قد أسند بختنصر حكم أورشليم لأحد اليهود(جَدَلْيا)، ثم استغل النزاعات الداخلية لمصر و سار بجيشه نحوها و انتصر على فرعون مصر و أقرت مصر بتبعيتها لبابل.

يقول لكم يهودي أورشليم أن ملكهم صدقيا قد هرب قبل اقتحام جيش بختنصر ، لكنه لم ينجح في الإفلات من أيدي بختنصر الممتدة في أنحاء الأرض فأمسك به الجند في وادي الأردن ، و ساقوه و أبناءه إلى ملك

بابل ، و قيل أن أبناءه ذبحوا أمام عينيه التي فقأها بختنصر بعد ذلك ثم بقى في السجن ببابل حتى مات.

زار بختنصر حلماً رأى فيه تمثالاً عظيماً رأسه من ذهب و ذراعاه من فضة و بطنه و فخذاه من نحاس و ساقاه من حديد ، ثم جاء حجر ضرب التمثال فانسحق و صار رماداً حملته الريح ، استدعى المجوس و السحرة و العرافين و طلب منهم ليس فقط التفسير بل معرفة حلمه ثم تفسيره فعجزوا عن معرفة حلمه فأمر بقتلهم جميعاً ، فأوحى الله إلى دانيال أحد أنبياء بني إسرائيل في السبي بما حلم به بختنصر ففسره له أن الرأس هي نبوخذ نصر و سوف تزول مملكته و تأتي من بعده ثلاث ممالك متعاقبة تسود العالم هي الفرس(كورش العظيم) ثم الإغريق(الإسكندر الأكبر) ثم الروم(يوليوس قيصر) و كل هذه الممالك ستحكم الأرض ثم تزول و ينتهي عهدها ، أثنى الملك على دانيال و قربه و رفع شأنه ، و قيل أنه جعل زملاءه من اليهود حكاماً على ولاية بابل و عظم في عينيه إيمان و دين النبي دانيال و قيل أنه آمن بدعوته و هو ما يجعل وضع بختنصر ضمن السفاحين المائة موضع شك و افتراء.

هناك أدلة كثيرة تقول أن نبوخذ نصر ترك لليهود حرية إقامة الشعائر الدينية و الطقوس اليهودية ، و لم يعامل سبي بني إسرائيل معاملة الأسرى أو العبيد بل جعلهم يعمرون أرض بابل و يندمجون في المجتمع الجديد ، و هو ما يؤكد وصف البعض له بالتسامح الديني و هو ما يستبعده عن كونه جباراً في الأرض ، و في الحقيقة عندما وضعته ضمن السفاحين المائة قلمي كان يرتجف و حروفي كانت تنازعني و تصدني و ضميري كان يوحي إلي أني أخطأت في ذلك لكنني أترك للناس حرية البحث و التدقيق حول تلك الشخصية المثيرة هل يستحق وضعه هنا أما افتريت عليه بكلماتي.

عندما مات نبوخذ نصر خلفه ابنه (أوبل مردوك) و تعاقب من بعده ملوك ضعفاء و سقطت بابل عام ٥٣٩ ق.م على أيدي (كورش الأول) ملك الفرس و مكث اليهود ببابل سبعين عاماً و هو نفسه عمر الإمبراطورية البابلية ثم أعادهم (كورش الثاني) إلى فلسطين و هو ما أشارت له بعض التفسيرات أنه ذو القرنين.

تمت بحمد الله

(٥)أنطيوخس الرابع

ملك السلوقيين

١٧٥ ق.م

بعد أن أعاد الفرس سبي بابل من اليهود إلى فلسطين و تغلغل اليهود في جسد الدولة الفارسية كالطاعون فكان لهم الحكم و القدرة، و بعد أكثر من مائتي عام من حكم الفرس أنجبت الأرض ملكاً يشار له بالبنان أسقط إمبراطورية فارس عام٣٣١ ق.م و أنشأ دولة عظيمة و هي دولة الإغريق المقدونية هذا القائد هو الإسكندر الأكبر الذي رغم الفترة الوجيزة التي حكمها _حيث مات في عمر ٣٣_ فقد أنشأ مملكة متينة و راسخة و مترامية الأطراف.

بعد أن باغت الموت الإسكندر لم يكن بعد أنجب وريثاً شرعياً فتنازع قادة جيشه الحكم فتقسمت مملكته بعد صراعات و حروب إلى أربعة أقاليم كالتالي:

١.مصر و حكمها بطليموس الذي أنشأ دولة البطالمة

٢.بابل من نصيب سلوقس أنشأ الدولة السلوقية و جاء من بعده سلالة أنطيوخس

٣.آسيا و حكمها أنتيجونس

٤.بلاد الإغريق و حكمها أنتيباتروس

كانت فلسطين نقطة التقاء و صراع الأقاليم الأربعة فكان لا يستتب الحكم فيها لقائد حتى يظفر بها قائد آخر ، فقد استولى عليها أنتيجونس ثم انتزعها بطليموس من قبضة ابنه ديمتريوس ٣١٢ ق.م فحكمها البطالمة مائة عام ثم استولى عليها السلوقيين على يد أنطيوخس الثالث عام ٢١٧ ق.م عندما هزم بطليموس الخامس.

المملكة السلوقية كانت الأكثر اتساعاً بين الممالك الأربع ، و كان حكامها يجيدون مزج الشعوب المحتلة في ثقافة الإغريق و معتقداتهم ، فبنوا الكثير من المدن على الطراز الإغريقي و نشروا الدين الوثني اليوناني و الصبغة الإغريقية بين الشعوب ، استولى أنطيوخس الثالث على أورشليم ثم اغتيل عام ١٧٤ ق.م فانتهز الفرصة بطليموس السادس و ضم فلسطين لحكمه ، لكنه لم يهنأ بها كثيراً فقد تولى حكم المملكة السلوقية سفاحنا الخامس و أحد أشد ملوك عصره (أنطيوخس الرابع)

الذي هزم بطليموس السادس و انتزع منه فلسطين و لقنه درساً قاسياً حيث غزاه في عقر داره و وطأ مصر بجيشه و استولى عليها و أسر الملك بطليموس السادس و أعلن أخيه ملكاً على مصر لولا تدخل روما ، حيث أجبرت أنطيوخس على الإنسحاب من مصر و إعادة بطليموس لحكمه ، فتجنب الصدام مع الرومان _الذين أخضعوا مقدونيا عاصمة الإغريق و عظم شأنهم_ و ترك مصر للبطالمة و عاد لفلسطين شيطاناً سفاحاً يتقيأ ناراً على يهود أورشليم.

و يحكي لكم أحد يهود أورشليم سطوراً معدودة عن أنطيوخس الرابع.

****

شعب الله المختار، كنا في حقبة من الزمان كذلك، و كانت خيرات السماء تنزل فوق رؤوسنا صباً، كان الأنبياء يرسلهم الرب تتراً إلينا فكانت تأتي سنون يكن فيها بيننا نبي و اثنين و ثلاثة، إنه قد أمسك قلوبنا بين يديه فوجدها قاسية و متحجرة فأكثر فينا من رسله كي يقوموا اعوجاج نفوسنا و يطهروا رجس قلوبنا ، لكن كانت دعواهم لا تكاد تصل إلى أسوار أورشليم قد كانت تتعثر رسالتهم عندما يحاولون أن يسمعوا أمواتاً و ينذروا صماً ، منذ أن عاقبنا الرب بسيوف نبوخذ نصر و

طهرت أرض فلسطين ٧٠سنة من فسق اليهود ثم أعادنا الفرس لأورشليم تارة أخرى و قلوب اليهود كما هي ، لم يأخذوا عبرة من عقاب الرب و لم يتخلوا عن عهدهم القديم و تاريخهم الممتزج بالضلال، رغم ذلك كانوا يحملون الدين و الشرائع السماوية رغم ذلك كان القليل منهم مستمسكون بتعاليم التوراة رغم ذلك لم يقبلوا من يحاول طمث عقيدتهم، رغم الفساد المستفحل في أرواحهم كان بهم شيئاً من موسى و هارون، و لقد تعاقب حكام الإغريق و السلوقيين إلى أن تقلد أنطيوخس الرابع حكم دولة سلوقس.

عندما صفعه الرومان بطرده من مصر و تهديده فإنه قصد أورشليم ليصب جام غضبه على شعبها ، أنطيوخس الرابع ذلك المتغطرس نجح في صهر كل الشعوب في بوتقة الثقافة الهيلينية اليونانية ، كل من يتنفس داخل الدولة السلوقية و كل من هو يحيا تحت ظلها كان ولاءه الأول لأنطيوخس و دينه الوثني ، الكل خضع للتقاليد الجديدة عدا اليهود، الكل ركع أمام عرشه عدا اليهود ، الكل رضخ لأمره عدا اليهود، فكان ذلك منتظراً من أنطيوخس الرابع أن ينفث سمومه في اليهود.

لم يكن اليهود مجتمعة قلوبهم و كلمتهم ، الكثيرون من ذوي النفوذ و

الكنوز و الشعب الفقير ضعيف الإيمان قد استهوتهم الشياطين فبدلوا إيمانهم و ثقافتهم و اشتروا رضا أنطيوخس و ابتاعوا دينهم، هؤلاء الحمقى من الحزب الهيليني اليهودي حاولوا فرض سيطرتهم على الفئة المستعصمة، حاولوا استمالة عقولهم ، حاولوا سلب بعض الخير المتبقي في أورشليم ، كانوا يشترون منصب الكاهن الأعظم بأموالهم و يحكمون في الناس بهويتهم الوثنية فاستشرى الضلال و الانحراف و اختلط الحق بالباطل و النور بالظلام و الفسق بالإيمان.

قصد أنطيوخس أورشليم بجيشه بعد أن فشل في بسط نفوذه على أرض البطالمة ، لقد قرر أن يمنع حدوث إخفاقين له في آن واحد خروجه من مصر و عجزه عن صهر اليهود في ثقافته لذا فقد لجأ للعنف و التخريب و التنكيل برافضي التهلين ، دخل القدس بجيش كثيف ، نهب الحلي و الذهب و الآنية النفيسة من الهيكل ، حطم المنارات و الأكاليل و الموائد التي نستخدمها للطقوس اليهودية ، قتل الكثير من الأبرياء و سجن الكثير و أعدمهم ، جمع غنائمه ذهباً و فضة و ماشية و سبياً من النساء و الأطفال ، أحرق الديار و هدم الأسوار، ألبس الخزي بني إسرائيل و العار، و تركهم ينتحبون و يصطرخون، نصب صنماً لإلهه(زيوس) في

المعبد و أمر الكل بتعظيمه و تقديم القرابين له و منح لجيشه صك العقاب الأليم لكل يهودي يأبى السجود لربه ، ثم رحل إلى حيث عرشه تاركاً مناحة عظيمة في أورشليم.

رضخ الكثير من اليهود لأوامر أنطيوخس فراحوا يعدون في السبت و يذبحون الخنازير و يقدمون القرابين لزيوس فدنسوا أنفسهم و نسوا شريعتهم، لكن كان هناك فريقاً صالحاً من اليهود رفض ذلك الذل و حفظ شرائع التوراة و استمسك بدينه فكان مصيرهم القتل أو السجن أو التعذيب و كان ممن ناله ظلم السلوقيين كاهن تقي ورع هو (متاتياس يوحنا) الذي فجر ثورة غيرت تاريخ اليهود و منحت لهم الحرية و جعلتهم ملوكاً على أرضهم تلك هي الثورة المكابية.

١٦٨ ق.م بدأت حمم الغضب تحرق المحتل السلوقي، كان متاتياس يحيا في قرية منعزلة عن أورشليم حتى لا يعطيهم فرصة الضغط عليه لعبادة زيوس لكنه لم يسلم منهم، جاءه ضابط سلوقي في أحد الأيام يأمره بإحضار القرابين للوثن الذي جعلوه إلهاً و يتوعده بغضب أنطيوخس إن تخلف عن ذلك ، كان متاتياس شعلة متقدة من حماس و غيرة على عقيدته فلم يتحمل ما يؤمر به و ثارت روحه ، فانقض على الضابط و

قتله تشفياً من ملك السلوقيين الظالم و جنده ، ثم هرب إلى الجبال خوفاً من بطشتهم و تبعه الكثيرون من ذوي النفوس الثائرة فتشكل على يديه تنظيماً من المقاتلين الغاضبين.

أذاق الثوار المحتل السلوقي الويلات و باغتوهم ليلاً و نهاراً في غفلتهم و في صحوتهم و قتلوا من جنود أنطيوخس العشرات و في كل مرة يفرون إلى مخبأهم في الجبال دون أن يظفر السلوقيون بهم. اشتد ساعد الثوار فحطموا المعابد الوثنية و استنزفوا القوات السلوقية و أصبحوا شوكة في حلق أنطيوخس و تهديداً لدولته ، فأكثر من الجند في أورشليم و باغت الثوار في حرمة السبت و قتل منهم الكثير حتى أمر متاتياس بالدفاع عن النفس يوم السبت و عدم إعطاءهم فرصة ضعف للثائرين يتغلبوا فيها عليهم ، فقويت شوكة الثوار و اتقدوا حماساً و حمية فأنهكوا المحتل و زرعوا في قلوبهم الرعب و بعد عامين من الثورة مات متاتياس تاركاً قائداً جسوراً تولى من بعده جهاد السلوقيين هو يهوذا المكابي.

مكابيوس كان لقبه و منه تسمت الثورة المكابية، كان به من طبع موسى شدته و من هارون فصاحته و من داوود بسالته و من سليمان

حكمته و من أيوب أخذ الصبر على البلاء، يهوذا المكابي روى بدمائه بذور الثورة التي زرعها متاتياس في القلوب و في تراب أورشليم فصارت شجرة مزدهرة تناطح السحب، كان أبيه يضربهم في غفلتهم ثم يفر إلى الجبال أما يهوذا فقد كان نداً لهم و كابوساً مرعباً لأنطيوخس. محاولات متعاقبة باءت بالفشل و الهزيمة النكراء للقوات السلوقية بدأت عندما أرسل أنطيوخس حاكم السامرة (أبوللونيوس) لإخماد الثورة ثم أرسل (سيرون) أحد أكبر قادته فأوقع بهم يهوذا و هزمهم شر هزيمة و أكثر فيهم من القتلى و الجرحى، ثم ضاق أنطيوخس ذرعاً باليهود فكلف قائداً ضليعاً(ليسياس) على رأس جيش قوامه ٤٠,٠٠٠ من خير جنوده و ظنوا أنها المواجهة التي ستمنحهم أورشليم على طبق من ذهب فلا قبل ليهوذا و عصابته بالسيل المندفع نحوهم، فما كان من الثوار إلا أن صاموا و تضرعوا إلى الله و ذكرهم يهوذا بما فعله طالوت بجالوت و جنوده و كيف قتله داوود و مزق أوصاله، و بث الحمية في نفوسهم فانقضوا عليهم كالذئاب عند قرية عمواس و فرقوا جمعهم و مزجوا التراب بدمائهم و غطوا الأرض بجثثهم و أفلت ليسياس من سيف يهوذا و عاد لسيده ينتحب كالثكالى.

بعد الهزائم المتتالية للسلوقين صار الطريق لأورشليم ممهداً فدخلها يهوذا حاملاً رايات النصر مختالاً و طهر الأرض من آثار السلوقيين و أوثانهم و أعاد لليهود عزتهم و كرامتهم و طقوسهم و أقام الأعياد و الأفراح، في هذه الأثناء لم يتحمل قلب أنطيوخس الرابع فشل قادته في قمع الثورة و فشله في تطبيع اليهود و هو الذي لم يذق طعم الهزيمة قبل ذلك كيف لجنوده أن ينكسروا و ينهاروا مراراً أمام حفنة من عصابات أورشليم، لكنه أشعل بظلمه النار في أورشليم فكان أول من يحترق بها، مات أنطيوخس(١٦٤ق.م) منهزماً مخزياً و ضعفت من بعده الدولة السلوقية.

لم تنتهي بوفاة أنطيوخس الصراعات مع ثوار مكابي فالتقوا في حروب مريرة كانت ترجح فيها كفة يهوذا، إلى أن استطاع ليسياس أخيراً أن يهزم المكابيين بعدما استهوتهم روح النصر و ظنوا أنهم لا يقهرون ، و قتل إليعازرا شقيق يهوذا لكنه قبل أن يسقط أورشليم اضطر للعودة إلى سوريا بعدما جاءته أنباء استيلاء فيليب (أحد قادة أنطيوخس) على العرش ، فعاد و هزمه و انتزع منه الحكم و أصبح الرجل الأول لدولة سلوقس التي يحكمها وهمياً الطفل (أنطيوخس الخامس) ، إلا أنه

سرعان ما تحرر ديمتريوس ابن سلوقس الرابع من أسره في روما و جمع الشعب حوله و تولى حكم الدولة السلوقية و أمر بإعدام ليسياس و أنطيوخس الخامس.

في هذه الأثناء فترت عزيمة الثوار و أمنوا مكر السلوقيين و ظنوا أنه بموت ليسياس انتهت الحروب و المناوشات خاصة عندما عين السلوقيون (ألكيموس) _و هو يهودي من نسل هارون_ كاهناً أعظماً لأورشليم، لكن ألكيموس سرعان ما أظهر وجه الشيطان المتخفي تحت قناع التقوى و أعدم الأبرياء و باع نفسه و الثورة للمحتل السلوقي.

تجمع الثوار من جديد و التفوا حول قائدهم يهوذا و راحوا يذيقون ويلات الهزيمة للأعداء و قتلوا كبار الضباط ، لكن هذه المرة تعلم ديمتريوس من أخطاء أنطيوخس و فطن كيف تدار مثل هذه الحروب ،فأرسل قائد جيشه العام بجنود ككثيب الرمال و وقعت معركة كبرى عند بلدة (إلياسا) هُزم فيها المكابيون و فر الأحياء إلى الجبال، و قدم يهوذا دمه قرباناً للثورة المكابية العظيمة بعد أن كافح الدولة السلوقية و أنهكها و كلفها أثماناً باهظة من الجنود و القادة.

استمرت الثورة بعد مقتل يهوذا المكابي و استمر القتال، تارة يَهزم الثوار الأعداء و تارة يُهزمون، تارة يدقون طبول الحرب و تارة يتصالحون مع السلوقيين إلى أن جاء الرومان و أسقطوا دولة السلوقيين و دولة الإسكندر الأكبر بعد أن أضعفها كثرة الصراعات مع اليهود، و كان الرومان أكثر فطنة فعلموا كيف يقيموا دولتهم من دون قلاقل و نزاعات مع اليهود ، فكان يدعون لهم حكم أرضهم على أن تكن الإرادة العليا و القدرة للرومان فبدأت مرحلة جديدة من التاريخ حيث بُعث زكريا و يحيى و عيسى عليهم السلام و كانوا آخر أنبياء اليهود.

تمت بحمد الله

(٦)هيرودس أنتيباتر

ملك اليهود

٣٠ ق.م

الآن مع سطور ستكتب عن سفاح جديد تتشابه قصته مع فرعون موسى و النمرود كونه تسلط على الأطفال الأبرياء مثلهم لكي تنال سطوته نبي الله المنتظر الذي سيبدد وجوده ملكه الدنيوي، سنحكي لكم قصته و قصة ابنه الباغي زوج الباغية قاتل الحصور الطاهر يحيى المعمدان.

هيرودس كان من الأدوميين و هم من نسل عيسو شقيق يعقوب النبي أي أنهم ليسوا يهوداً خالصين لكنهم تهودوا فيما بعد و اندمجوا مع بني يعقوب و صار منهم ملوكاً لليهود، و كان حاكماً لكل مناطق اليهود(يهوديا، إيدوميا، سماريا، الجليل) عندما كانت فلسطين تحت الحكم الروماني و كانوا يقرون حكاماً يهوديين على المناطق اليهودية منهم كان هيرودس.

****هيرودس أنتيباتر** : قاتل أطفال بيت لحم ، من أنجب قاتل يوحنا**

التقي، لم يكن أول من أقام المذابح في تلك الأرض و ليس أول حاكم قمع يهود أورشليم و ما حولها، فبقدر نوايا اليهود الخبيثة يسلط الرب عليهم من يتجبر عليهم و في كل مرة لا يعقلون آيات ربهم و يعودون إلى غيهم و فسقهم.

تولى حكم إيدوميا بعد أبيه و تزوج ب (ماري) ابنة ملكة اليهود سالومي ألكساندرا، تقرب للرومان و قدم لهم فروض الولاء و الطاعة فصار أفضل رجال اليهود عندهم، و بعد مقتل (هيركانوس) آخر ملوك الأسرة المكابية، لم يجد الرومان أكفأ و أحق منه لتولي ملك اليهود فمنحوه حكم كل المناطق اليهودية في فلسطين، سخط بعض اليهود لهذا القرار فهو ليس يهودياً خالصاً كأبناء يعقوب و داوود لكنهم لم يجدوا سوى الإذعان لأمر الإمبراطور الروماني (أغسطس).

اتخذ من أورشليم عاصمة لملكه فهي تمثل قلب فلسطين و بها قدس الأقداس مدينة طاهرة و عريقة (مدينة القدس)، كان فظاً غليظ القلب قتل وقمع كل من تمرد و أثار الفتن على الرومان ، أخمد ثورات المعارضين بالقوة و أخضع اليهود للحكم الروماني و استتب له حكم اليهود ثلاثين عاماً، و أنجب ثلاثة أبناء(فيليبس، أنتيباس، أرخيلاوس).

كان هيرودس ولعاً شغوفاً بالعمارة و البناء فشيد معابد بديعة و تماثيل رخامية جميلة و قام بإعادة بناء و توسيع هيكل سليمان فأصبح بناءاً هندسياً مزخرفاً جذاباً و أسماه (معبد هيرودس) قام بافتتاحه وسط احتفال كبير بين رقص و طبول و ثمالة.

كانت الأمور تسير كما يبغي و يحب و لم يكن هناك ما يعكر صفوه إلى أن جاءه وفد من المجوس المنجمين ، هؤلاء كانوا قد علموا وفق حساباتهم الفلكية أنه سيولد طفلاً لليهود في أرض فلسطين سيغدو أعظم ملوك اليهود و قد جاءوا ليزفوا له البشرى ظناً منهم أنه المسيح الذي تنبأت به التوراة قبل مئات السنين و الذي تنتظره كل بني إسرائيل.

أثار ذلك حفيظته و أوقع جمرة في صدره فهو يظن نفسه أعظم ملك عرفته بنو إسرائيل و إن كان اعتراه شعور أنه ذلك المنتظر الذي تنبأت به التوراة ، بلوى المستكبرين في الأرض أنهم لا ينظرون إلى سنن الأولين لا يأخذون العبر من تاريخ الأمم ، يتشرب في روحهم كبرياء و حماقة و نرجسية فيعمي ذلك أبصارهم و يطمس على قلوبهم، هكذا كان هيرودس، تلميذ أبله لإبليس، جمع الكهنة و علماء الشعب فأخبروه أن المسيح سيولد ببيت لحم ليس أورشليم كما أخبره المجوس، عندها أدرك

أن المجوس مخطئون و تشكك في نبوءتهم لكنه أرسلهم لبيت لحم يتحروا أمر المولود على أن يخبروه إن وجدوه و نافقهم أنه سيسجد له هو و كل بني إسرائيل ، فذهبوا و إن كانوا شعروا أن خلف قناعه شيطان و أنه يضمر عداوة لهذا الطفل الموعود.

ذهب المجوس لبيت لحم عثروا على مريم و معها رضيعها فسجدوا له و أخبروا يوسف النجار أن هيرودس يطلب عيسى ليقربه و يرفعه، لكن الله الذي نساه هيرودس و نسِيَتْه بنو إسرائيل أوحى إليهم أنه يبطن العداوة له و أنه يبغي الظفر به ليحط قدره لا ليرفع شأنه فلم تأت العائلة المقدسة لأورشليم.

عامان مروا و هيرودس يترقب خبراً من المجوس لكنهم لم يعودوا من بيت لحم، الآن حان دور الشيطان ليخبر تبيعه من البشر ، تمثل له إبليس بشراً قبيح الوجه تنبعث منه رائحة نتنة و يكتسي بردة رثة:

كسول أنت يا هيرودس ما عهدت من تلاميذي ذلك ، مملكتك ستضيع منك قم و اقتل كل أطفال بيت لحم ما دون سنتين لعلك تظفر بقتل يسوع.

مذبحة عظيمة يندى لها جبين العالمين ، فزع و هلع ، حزن و وجع، أنين الأطفال، قهر الرجال ، نحيب النساء، عويل و بكاء، أكثر من مائة

ألف طفل قتَلَتْهم سيوف جنود هيرودس في بيت لحم و ضواحيها، تستطيع أن تشم رائحتين متناقضتين في بيت لحم تلك الأيام، رائحة طيبة زكية تفوح من تراب قبور يقبع تحتها آلاف الأطفال الأبرياء، و رائحة أخرى نتنة قذرة أرسلها مع جنوده السفاحين تلك رائحة الشياطين.

ما كان الرب ليذر أنبياءه بأيدي أنجاس الأرض، نجا يسوع و هرب مع البتول و يوسف النجار و قصدوا أرض مصر، عندما علم هيرودس بذلك أرسل رجاله خلفهم لكنهم تاهوا في أرض مصر الواسعة و لم يعثروا عليهم.

شاخ هيرودس، وهن عظمه و شابت رأسه و تهشمت أسنانه و تجعد جلده ، أصابه قصور و فشل في كليته فزارته آلام شديدة تؤرقه كل ليلة و جعلته طريح الفراش لا حول له و لا قوة، لن يستفيق الباغي إلا إذا أذاقه الله ضعف المرض عندها يتيقن أنه بشر من لحم و دم لا يملك على الأرض شيئاً و لا يساوي في ملك الرب شيئاً ، شعر بدنو الأجل فقسم ملكه على أبنائه الثلاثة ، رحل عن الدنيا تاركاً خلفه شعباً مبتهجاً بهلاكه و ذرية فاسدة، أما أسرة يسوع المباركة بعد أن مكثت بمصر ٦ سنوات عادت لأرض فلسطين بعد أن أتَتْهم بشرى موت طاغية اليهود.

أنتيباس هيرودس

كان يحيى نبياً قاضياً و مشرّعاً لليهود ، كان أنتيباس حاكماً للجليل ، و في إحدى زياراته لأخيه فيلبس حاكم باشان رأى زوجته الجميلة هيروديا ففتن بها و وقعت في قلبه و غريزته وهي الأخرى تعلق قلبها به فأرادا بعضهما فافتعلت هيروديا شجاراً مع زوجها فطلقها ثم ذهبت لأنتيباس كي تتزوج به، كانت هيروديا قد أنجبت لزوجها فتاة أسمتها سالومي و بحكم شرائع اليهود لا يحل لأخ أن ينكح زوجة أخيه إن كانت قد أنجبت لأخيه و إن حدث الزواج فهو فاحشة و زنا.

علم يحيى بأمر زواجهما، لم يكن ليدع عليه السلام تجاوزاً في شرائع الله ، ندد و عارض و أعلن في بني إسرائيل أن حاكمهم تزوج بمحارمه، أن أنتيباس و هيروديا زناة فاحشين قد ضربا بشرائع اليهود عرض الحائط.

علم أنتيباس بما فعله يحيى فحاول أن يثنيه عن قوله ،أراده أن يحلل له زواجه و أن يفصل الشريعة وفقاً لهواه فأبى يحيى ذلك، فلم يفعل أنتيباس له شيئاً فقد كان يهاب الأنبياء لكنه سرى في بني إسرائيل افتضاح أمره و لم يتوقف يحيى عن التنديد بهذا الزواج.

في إحدى أعياد اليهود دفعت هيروديا بابنتها سالومي لساحة الرقص و العربدة فرقصت و تمايلت بجسدها العاري أمام أنتيباس فلفحته أنفاسها الحارة و أسكرته نظراتها الأنثوية وأشعلت نيران الفتنة في صدور الحاضرين و أولهم أنتيباس، فأقسم لها ليحققن مطلبها و أمنيتها و كان من عاداتهم أن الملك لا يرفض طلباً في ذلك اليوم، و كانت قد تلقنت سالومي من أمها ما ستطلبه فقالت له: اعطني على هذا الطبق رأس يوحنا المعمدان يكن مهراً لأمي، اغتم في بادئ الأمر ثم استجاب لها و أمر جنوده بالقبض على يحيى ، فجاءوا إليه و هو يصلي في المحراب و قطعوا رأسه الشريف و قدمه الفاسق الفاجر أنتيباس مهراً لهيروديا ، و قد قيل أن الله خسف به و بزوجته و أهل بيته الأرض ، فتعقبت بنو إسرائيل زكريا و قتلوه ثأراً لملكهم، فقتلت بنو إسرائيل نبيين كريمين في أيام خيم فيها إبليس على قلوبهم.

يقول تعالى : وآتيناه الحكم صبيا، و حناناً من لدنا و زكاة و كان تقيا، و براً بوالديه و لم يكن جباراً عصيا، و سلام عليه يوم ولد و يوم يموت و يوم يبعث حيا، الحصور الطاهر يحيى بن زكريا الذي وهبه الله لأبويه بعد أن بلغا من الكبر عتيا، قتله فاسق و مجرم ظلماً و عدوانا، اليهود

هم اليهود كلمة تصيبك بالشؤم عندما تنطق بها أو تسمعها لم تتغير طباعهم من لدن موسى و حتى الآن، غضب الله عليهم من إفكهم و قسوة قلوبهم قتلوا الأنبياء و حرفوا التوراة و ابتدعوا التلمود الذي ما أنزل الله به من سلطان، و انبثقت من عباءتهم الماسونية و الصهيونية و زعموا تملكهم لأرض فلسطين فأقاموا المذابح بحق الأبرياء، يتوارثون العهر و الفجور أجيالاً بعد أجيال.

تمت بحمد الله

(٧) نيرون

إمبراطور روما

٥٤ م

ننتقل الآن خارج أراضي العرب إلى أرض روما حيث حل عليها السفاح المجنون (نيرون)، بعد رفع السيد المسيح و انتشرت المسيحية في الشرق و الغرب على أيدي تلاميذ المسيح و زاد أعداد المسيحيين بأرض روما فقد تعرضوا لاضطهادات متتالية و إن كان أشدها في عهد نيرون أكثر ملوك روما دموية ، ناهيك عن كونه أراق دماء أقرب الأقربين إليه و ترك روما مضمحلة اقتصادياً، تلك الإمبراطورية الملعونة التي لا ينتقل الحكم فيها إلا بطريقة الغدر و الوقيعة و سفك دم الإمبراطور السابق.

الآن لدينا عدد من الشخصيات المتشابكة في قصة نيرون:

١.نيرون(إمبراطور روما)

٢.أغريبينيا(أم نيرون و زوجة كلاوديوس الثانية)

٣.كلاوديوس(إمبراطور روما السابق و والد نيرون بالتبني)

٤.كاليغولا(عم نيرون و الإمبراطور السابق لكلاوديوس)

٥.بريتانياكوس(ابن كلاوديوس و الوريث الشرعي)

٦.ميسالينا(زوجة كلاوديوس الثالثة)

٧.كايوس(عشيق ميسالينا زوجة كلاوديوس)

٨.أوكتافيا(ابنة كلاوديوس و زوجة نيرون الأولى)

٩.سينيك(مربي نيرون)

١٠.بوروس(قائد الجيش)

١١.بوبيه(زوجة نيرون الثانية)

١٢.أنيكيتوس(صديق نيرون و قاتل أمه)

١٣.سكيفينوس(حاول قتل نيرون)

١٤.بوبياسبينا(زوجة نيرون الثالثة اليهودية)

١٥.فيندكس(قائد الثورة ضد نيرون)

****نيرون كلاوديوس**:**

فليسامحني الجميع ، أهل روما، أمي و زوجاتي و أصدقائي، أتباع المسيح، الإنسانية، سامحوا نيرون فقد نشأ في مجون و سُكْر ، نشأ بين القتل و الغدر ، وبين الرقص و العهر، فهل كنتم تنتظرون نبياً حاكماً أم قاضياً عادلاً أم كنتم ترقبون شخصاً عاقلاً؟ ،لم أكن

أعرف ديناً أو معتقداً و لم أتقابل مع الأنبياء وجهاً لوجه، لم أكن يهودياً فاجراً و لا مسيحياً ضالاً و لا مسلماً منافقاً و لم أزعم أني إله و لا رسول، لقد كنت مجنوناً فقط كنت مجنوناً.

(أمامكم الآن أهم عشرة مشاهد في حياة نيرون)

المشهد الأول: جزيرة بونتيا منفى عائلة نيرون

أغريبينيا: يا صغيري لقد رأيت الآن ماذا فعل بنا عمك الإمبراطور كاليغولا فقد نفانا و ظلمنا بدون وجه حق فهو متغطرس أحمق تزوج شقيقته و أنفق ثروات روما في الخلاعة و المجون ، أنا سأفعل المستحيل كي أجعلك فوق عرش روما فوق رؤوسهم أجمعين.

نيرون: أمي لن أملك العرش فقط بل سأملك كل فرد يتنفس داخل بلادنا، كلهم سيصبحون عبيدي، كما كان عمي يلقي بالمعارضين أمام الوحوش الجائعة و كما كان يقطع أيديهم و أرجلهم سأغدو مثله ،لن أرحم أحداً، سأصبح أنبل من جاء من سلالة يوليوس قيصر.

أغريبينيا :يا صغيري يبدو أن العظمة تسري في دمائك و تكتسي

بها روحك، جوهرة ثمينة أنت يا نيرون و لا يليق بك إلا العرش و سأجعلك تعتليه و سوف ترى مكري و دهائي و كيدي و فتنتي و لسوف تحرق نار العشق قلب عمك كلاوديوس الأبله الذي سيقربنا إليه عندما يصبح إمبراطور روما بشكل مؤكد فعمك كاليغولا ليس له أبناء و دماءه قريباً ستفور.

جاء خبر من روما بأنه تم قتل كاليغولا و تنصيب كلاوديوس الذي بادر بدعوة أغريبينيا إلى قصره كي يتزوج معشوقته و زوجة أخيه مخالفاً بذلك القانون الروماني .

المشهد الثاني: قصر كلاوديوس جناح زوجات كلاوديوس.

أغريبينيا: اه يا حبيبي كلاوديوس تذهب للحرب و لا تدري أنك قد تزوجت عاهرة تدعى (ميساليناا) تبيع لحمها لمن يشتهيه و آخرهم السيناتور (كايوس) .

ميساليناا: أيتها المرأة المشؤومة الوضيعة بماذا ينطق لسانك القذر، هل يليق بزوجة الإمبراطور أن تعشق غيره، سوف أجعل كلاوديوس يعاقبك أشد عقاب لتجرؤك على زوجته و مربية ولي عهده(بريتانياكوس)

أغريبينيا في سخرية و مكر: هل أنت متأكدة أن بريتانياكوس هو ابن الإمبراطور الشرعي، إن بابك يا ميسالينا لا يغلق أمام العاشقين، مسكين هذا الفتى ، سوف يحق له أن يتبرأ منك و جدير بكلاوديوس أن يتبرأ من كليكما.

ميسالينا: أعلم أنك تزوجت بكلاوديوس لهدف جعل نيرون على عرش روما و أعلم أن بالقصر أفعى سامة سوف تدبر كل الحيل و تطوق رقبة الإمبراطور و تبخ في أذنيه سمها و تُسمعه فحيحها و تأسر قلبه بسحرها و فتنتها كي تصبح من يقود روما في الخفاء، لكن لن أدعك تظفرين بذلك فأنا لن أدعك تلتهمين ولدي و زوجي.

تستطيع أن تسمع صرخات السيناتور كايوس و هو يُنكّل به أشد تنكيل و تُقطّع أيديه و أرجله و تُلقى بقاياه طعاماً للكلاب بعدما وشت بهما أغريبينيا إلى الحاكم و علمت روما بفضيحة زوجة الحاكم مع أحد رجاله و لم يمض الكثير حتى أصدر كلاوديوس أمره بإعدام ميسالينا، و ها قد بدأت أغريبينيا بتصويب سهاماً قاتلة نحو صدور من يقف أمام إمبراطورية نيرون.

المشهد الثالث: أحد بساتين القصر

نيرون: عيني قبل أن تراك كان البؤس يملئها و قلبي قبل أن يدق لكي كان قلباً ميتاً، يا مهجة فؤادي و شريكة عمري سأجعل عرشك فوق قلبي تملكينه ، يا لؤلؤة روما و سيدتها لقد ذابت روحي أمام عينيك.

أوكتافيا: أعشقك يا نيرون و أعشق جنونك، كل من في القصر يبجلونك و يهابونك أصبحت من حنكتك و قوتك فوق

أخي(بريتانياكوس) عند أبي، فهو يأخذك في الأعياد و يضعك بجوار عرشه و يعليك شأناً فوق وريثه الشرعي.

نيرون: السر هو العِشق يا حبيبتي، قلب الحاكم بين يدي أمي و قلبي بين يديك يا أوكتافيا، لا تقلقي لن أطمع بملك ليس من حقي و لن أظلم أخيك فهو أخي أيضاً.

ما زالت تفي أغريبينيا بوعدها لنيرون و ما زالت تأسر عقل كلاوديوس الأحمق فقام بتبني نيرون و قربه إليه و زوجه (أوكتافيا) و أهمل ابنه و وارث ملكه و ترك المملكة الرومانية تديرها شيطانة ماكرة (أغريبينيا) و قائد الجيش (بوروس) و

مربي نيرون (سينيك) حتى استفاق أخيراً من سباته العميق لكن بعد فوات الأوان.

المشهد الرابع: حجرة الحاكم.

كلاوديوس و الثمالة تغشي عينيه و تثقل لسانه: اللعنة على الضعفاء، اللعنة على عبيد شهوتهم، ماذا فعلت يا كلاوديوس! اللعنة عليك يا أغريبينيا ، لقد صرت ظلاً و خيالاً لا قيمة لي و لا وزن، من يحكم روما يا أغريبينيا ! على رأسكِ تاج الحكم و حول عنقي طوق الكلب ، لقد سلمت ابنتي لشيطان و تركت ولدي في الظلمة وحيداً طعاماً للذئاب، سأتحرر من قيدك الملعون يا أغريبينيا.

أغريبينيا: كنت سأصدقك لو قلت لي ذلك قبل أن يسري بجسدك سماً قاتلاً، بيدك ليس خمراً، إنك تشرب الموت يا كلاوديوس، لقد أقسمت لولدي الذئب أن أجعلكم جميعاً تحت العرش الذي ظننتم أنه لا يليق بنا، الآن بعد أن يُقطّع السم أوصالك و يصيحون في الساحات أن الإمبراطور الأحمق مات ، عندها سيصبح الذئب ملكاً للغابة.

مات كلاوديوس مسموماً و لم يكن هناك أجدر من نيرون بحكم

روما بعد أن ساعده الجميع و أراده الجميع و لم يتخيل أحد أنه سيغدو وبالاً على الجميع

المشهد الخامس: ساحة القصر(عرش نيرون)

نيرون: أمي لقد تعبت كثيراً و لا تناقشي فرماني سوف تعيشين من الآن خارج هذا القصر الملكي بعيداً عن أمور الدولة ، هل تحبين قول العامة أن نيرون دمية تحركها أمه، إني أقدّر عظم ما فعلتيه من أجلي لكن الآن عصر نيرون وحده فقط.

أغريبينيا مندهشة: بني هل تسمع أذنك ما تنطق به شفتاك ، هل سينقلب السحر على الساحر، تريد أن تهدم ما سعيت له، تريد أن تمحي صورة رسمتها لك و لي في خيالي، دعني بجوارك، أنت قليل الخبرة، المكائد كثيرة و العرش ملعون و ساحر و لن يرحمك إن وقعت في الغفلة.

نيرون: الضعيف هو من يجعل العرش يفتك به، منذ أن أتيت إلى هنا و أنا أتعلم كل الحيل و ألوان المكر و الغدر، لكل شخص في روما ثمناً و أنا سأشتري الجميع و من يأبى بيع نفسه لنيرون

سيشعر بسيفي الحاد يذبح عنقه ، فلا يساورك الشك أنني ضعيف بدونك أو أحتاج لظلك.

أغريبينيا: أرى في عينيك نظرة الشيطان و أشعر من حدة صوتك أنك طفح كيلك مني و لن تتراجع عن إبعادي و تهميشي، لكنني أذكرك أن (بريتانياكوس) لا زال حياً، و كما جعلتك حاكماً بالحيلة و المكر فإنني أستطيع أن أثير حفيظة الناس أنك ليس شرعياً و أن ابن كلاوديوس من صلبه هو الأجدر بعرش روما.

نيرون ضاحكاً: لقد توليت أمره و هو الآن في قبضة يدي و أظن أن سمي قد وصل إلى شرابه الآن.

قتل نيرون بريتانياكوس و أبعد أمه عن الصورة و مارس العهر و المجون و الفساد في الأرض و لم يعد هناك أحد يجرؤ على كبح جماحه و حان دور نيرون السفاح، تعرف على عاهرة تدعى (بوبيه) كرر معاها حكاية كلاوديوس مع أمه جعلته يطلق (أوكتافيا) فثارت عليه أمه و حاولت أن تمنع زواجه ب(بوبيه) فهي تدرك سحر العشق و مكر النساء لا سيما و أنها أغوت و أهلكت إمبراطور روما السابق عندما

جعلته عبداً لفتنتها و جمالها و لا تريد أن تتكرر تلك التجربة مع نيرون فرغم ما فعله بها إلا أن قلبها الأسود به شعاع حب لنيرون، لكن ذلك كان وبالاً عليها فقد حرضت (بوبيه) نيرون على قتل أمه بعد أن كادت لها رغم محاولات (سينيك) مربيه و (بوروس) قائد جيشه كي يثنوه عن تلك الجريمة لكنه لم يآبه لأحد و أرسل صديقه (أنيكيتوس) لأمه كي يقتلها.

المشهد السادس: قصر أغريبينيا

أنيكيتوس و السيف في خصره و حوله عدد من الجنود:

حقاً إن سيفي لمحظوظ و إنه لشرف عظيم أن أمرره في لحم امرأة حكمت روما خلف الستار و أنجبت مجنون ماجن عاهر أذاق الناس الذل و زرع في قلوبهم الرعب

أغريبينيا بصوت به مشاعر مضطربة بين فزع من هول الموقف و ندم على ما فعلت و مكرت و لوم لابنها المشئوم الفاسق و استسلام للمصير الذي توقعته: فعلت كل شيء لأجله ، قتلت لأجله ، ظلمت لأجله ، وشيت لأجله و فتنت لأجله ، ماذا كنت أنتظر منه بعد أن أسقيته بيدي شراب السفاحين ،و بعد أن علمته شريعة الكلاب

الجائعين ، و بعد أن ألقيته في جحر الثعالب و الثعابين ، و طبعت في عقله أن الأرض ملك للسلاطين و قبراً للمساكين ، جاء يوم سفك دم مربية إبليس، اللعنة عليك يا نيرون، اللعنة على رحمي الذي حملك في جوفه تسعة أشهر، اللعنة على صدري الذي أطعمك و أشبعك، اللعنة على لساني الذي علمك الكلام لكي ينطق لسانك (اقتلوا أمي)، اللعنة على العرش، اللعنة على روما و ملوكها.

قتل أنيكيتوس أغريبينيا بأمر من نيرون فزاده ذلك وقاحة و جنوناً و أصبح كالكلب المسعور و الحوت الجائع لدماء البشر، و استمرت عشيقته (بوبيه) في بث سمومها في عقله فكادت لأوكتافيا و ألصقت بها تهمة محاولة الإنقلاب على نيرون بأنها طلبت ذلك من أنيكيتوس مقابل أن تسلمه جسدها و هو ما اعترف به صديقه أمام المحكمة فأمر بإعدام أوكتافيا، و لم تسلم منه بوبيه فقد تشاجر نيرون معها في إحدى المرات فضربها ضرباً مبرحاً حتى الموت و كأن نفسه دفعته للثأر لأمه ثم ما لبث أن قتل(بوروس) قائد جيشه وصديقه الوفي و

أحد من أوصلوه لعرش روما، فقد أراد أن يطيح بكل من أعانه في لحظة ضعفه و أراد أن يمحو ماضيه بقتلهم.

المشهد السابع: ساحات حدائق القصر(المحكمة).

القاضي: أنت كنت تنوي قتل الإمبراطور نيرون يا سكيفينوس هذا ما شهد به خادمك و أخبر به الحاكم.

سكيفينوس: لا يا سيدي لا يجرؤ عقلي على التفكير في ذلك و لساني لم ينبس ببنت شفاه، أفضل قطع يدي على أن أبسطها أمام أعين الإمبراطور، أقسم لك يا سيدي أني عبد وفي لحذاء الحاكم.

نيرون: لن يُجدي حديثك، لن يلين قلبي، لن أرحم أحداً، أجيد معرفة الكاذب المخادع من عينه و من خفقات قلبه، لقد أخبرنا خادمك بالمنظومة السرية التي تعمل لها و التي تدبر في الخفاء للقضاء علي، سوف أحضرهم جميعاً، أعضاءها و مناصريها و مؤيديها، سوف تُنطق آلات التعذيب ألسنة البكم فيغردون كالبلابل، سأقطع أيديهم و أرجلهم و أغرز رمحي في قلوبهم و أدق المسامير في لحمهم و سأكوي بناري جلودهم، فلتنطق أيها القاضي بحكمي.

أفواج من البشر مكبلين في الأغلال و من خلفهم نساء و أطفال يصرخون و يجئرون، آلاف من المعارضين تدلوا من المشنقة و الحبال تمزق أعناقهم و آخرين يحرقون و فئة على الصليب ينازعون، و روما تبكي على ما حل بها و تلعن اليوم الذي وطأت فيه أقدام نيرون أرضهم. في خضم تلك المذبحة كان هناك صوت العقل و الضمير (سينيك) الوحيد الذي تبقى من ماضي نيرون، عزم نيرون على التخلص منه فزج باسمه في تلك المؤامرة و حاصر الجنود قصر سينيك و أصدر نيرون أمره له أن يقتل نفسه قبل أن يلوث يده بدم مربيه و معلمه، و لم يجد العجوز مفراً فأتى بخنجره و قطع عروق يده و مات منتحراً يلعن الشيطان المجنون(نيرون).

المشهد الثامن: مدينة أنطيوم حيث يمارس نيرون إحدى نزواته.

بوبياسبينا: كارثة يا سيدي، حريق عظيم بروما أتى على نصف المدينة، الشعب في فزع و هلع، و النار أكلت الديار و الأشجار، و الدخان غطى سماء روما فصارت سوداء لا ينبثق منها شعاعاً واحداً للشمس، و

الناس يتساقطون كالحطب بعد أن تحرق النار دماءهم.

نيرون: اللعنة على قبائل الغال المتوحشة، لن يخرج هذا الأمر من عباءة غيرهم، هزم قائدهم (فرسن جيتريكس) جدي(يوليوس قيصر) في أول حروبه معه ثم أذاقه جدي مرارات الهزيمة بعد ذلك و أعدمه و منذ ذلك الوقت و هم لا يكفون عن إثارة الفوضى ، سأطير إلى روما لكنني لا أضمن أني قادر على دحر قبائل الغال و روما صارت رماداً، لذلك سألجأ لكبش فداء من الضيوف(اليهود و المسيحيين).

بوبياسبينا: يا سيدي ما عهدت مني عصيان أمرك، لكن اليهود لا يستحقون منك ذلك فهم دائما ما نصروك وقت شدائدك و أنا زوجتك الوفية المطيعة من سلالتهم، فلتنظر يا سيدي إلى هؤلاء أصحاب الدين الجديد و إلى رسل المسيح، لا يكفون عن تحريض الناس و تبديل معتقداتهم، كيف غفلت عينيك عنهم كل هذا الوقت.

جاءت الفترة السوداء في تاريخ الدين المسيحي و بدأ الإضطهاد الدموي لهم، هرب من هرب إلى الكهوف و عاش البعض في سراديب تحت الأرض، و سيق آلاف إلى السجون و المشانق و قدم المئات طعاماً للوحوش و مارست الإمبراطورية الرومانية أبشع

وسائل التعذيب و التنكيل بهم طيلة آخر أربعة أعوام من عهد نيرون قتل فيهم بطرس أحد حواري عيسى و بولس أكبر مؤثر في المعتقد المسيحي ، سادت الفوضى روما، و نيرون منصرف إلى شهواته و عهره، لا يكاد يستفيق من ثمالته، سرق الخزائن و أنفقها على رغباته الجامحة و أهمل الرعية و طال ظلمه و جنونه حتى مستشاريه و حاشيته حتى طفح كيل الشعب به و ثارت روما على نيرون بعد أوصلها لحافة الهاوية و دمر بحماقته امبراطورية يوليوس قيصر العريقة.

المشهد التاسع: شوارع روما المحيطة بقصر نيرون.

فيندكس : يا شعب روما العظيم، يقبع بهذا القصر شيطان رجيم، يحكم روما بسيفه قبل عقله، و ينظر لكم كالعبيد المارقين ،يتلذذ بقمعكم و يشرب كؤوس الخمر ممزوجة بدمائكم، هذا الحقير لم تسلم منه أمه و لا زوجاته و لا أصدقائه و لا معلمه الكبير، قتلهم جميعاً كي لا ينازعه في الحكم أحد و كي لا يلومه على الظلم أحد، لن نعود قبل أن نقتلع جذوره

و نسفك دمه الخبيث، لن يحكم نيرون روما بعد الآن.

نيرون مضطرباً قلقاً: أشعر بأصوات الشعب خلف القصر، حناجرهم تزعزع قلبي، و كل رجالي هجروني و باعوني، أين المفر، ساعات و سيقتحمون قصري عندما يفتح لهم الحرس، و قد يقتل نيرون العظيم أحد الرعية المجهولين، سيتسابقون لكي يظفر أحدهم بدم جلادهم، إلى من سألجأ، لقد قتلت الرحمة في روما و بعت الجميع لأنال العهر و المجون و الخلاعة، لم يعد في القصر وفياً لنيرون.

أحد الخدم: لا يا سيدي ما زال في القصر رجل يدرك عظمتك و يهابك، أنا عبدك الأمين، لن أدعك بأيدي هؤلاء الغاضبين، لدي كوخ منعزل في الريف به ستغدو في أمان و لن تصل أيديهم إليك.

فر نيرون كالفأر العجوز يتشبث بخادمه، اختبأ في كوخ صغير، كل يوم يلعن نفسه و يلعن من جعلوه على العرش الذي فتك به كما تنبأت أمه، يسكر كي ينسى ماضيه الأسود، تتمثل أمامه صورة أمه و زوجته و ضحاياه فيفزع و يصرخ، يأكل الفتات و ينام محدق العينين، يترقب مصيره المحتوم، سمع جحافل الجيش و صليل السيوف تقترب منه فقرر أن لا يدع نفسه لهم يظفرون

بقتلها، قرر أن يذيق نفسه بيديه ألم الموت قرر أن ينتحر.

المشهد العاشر: الكوخ الصغير

نيرون يناجي روحه في آخر سكراتها بعد أن طعن نفسه:

سيحكون عني كل شيء، سيذكرون جرائمي و فسادي و جنوني، سيحمّلونني وزر كل شيء، ما فعلت و ما لم أفعل، لقد تعلمت القتل من قابيل ، و البطش من فرعون، و السحر من النمرود، و عشق الملك من هيرودس، لكن لم أتعلم من أحد كيف أحرق الديار، فعلت أموراً من قبحها صفق لي الشيطان ، قتلت أمي فأصابتني لعناتها و قتلت زوجتي الوفية من أجل عاهرة ،قتلت قائد جيشي فانقلب علي الجيش و قتلت لساني المفوه(سينيك) فانقلب علي الشعب، نجحت في قتل كل شيء قابل للقتل لكنني لم أستطع أن أقتل الإيمان و إن كان ممزوجاً بالضلال ، إن كان فساد البشر ترك في الأرض أصنافاً من القبح فأنا مارستها جميعها، لكنني لم أحرق روما أبداً.

تمت بحمد الله

(٨) أتيلا الهوني

آخر ملوك الهون

٤٣٤ م

عقاب الله كما أطلق عليه الأوربيون في ذلك الوقت، شيطان جاء من الجحيم يحمل الموت و الهلاك و الخراب ،أن يُخضع امبراطورية الرومان العريقة في أوج قوتها و ينشر الرعب في أرجاءها و يغدو كالكابوس المفزع القاتل للآمنين فلا ينبغي للتاريخ أن يغفل عن ذكر أتيلا الهوني و شراسته ، ولد أتيلا على الأرجح عام ٤٠٠م حيث كانت الهون تحت حكم عمه (رو)، و عندما مات عمه و لم يكن له أبناء فترك السلطة لأبناء أخيه أتيلا و بلاديا يقتسما حكم امبراطورية الهون ، كانت مملكة الهون تمتد من إقليم روسيا شرقاً و حتى غرب ألمانيا غرباً و كانت عاصمتها هنغاريا حالياً ، الهون هم أجداد الأتراك على الأرجح نفذوا إلى أوربا قادمين من منغوليا في وسط آسيا عبر البراري و السهوب (يسمون البربر)، و هم شعوب شديدة البأس و الضراوة هزموا عشائر

القوط الجرمانية على سواحل البحر الأسود و طردوهم من وطنهم ثم استقروا في منطقة المجر حالياً و كونوا امبراطورية الهون عام ٣٧٠ م.

بعد وفاة ثيودوسيوس الأول انقسمت إمبراطورية الرومان إلى الإمبراطورية الشرقية و عاصمتها القسطنطينية و الإمبراطورية الغربية و عاصمتها روما، كان ثيودوسيوس الثاني هو امبراطور الشرق و فالنتينيان هو امبراطور الغرب في الفترة التي كان فيها أتيلا ملكاً للهون، و كان يمثل شوكة في حلق ملوك الرومان و تهديداً عظيماً، كبدهم في معارك كثيرة خسائر فادحة حتى صار أقوى رجل في أوربا في عصره، خضع له الرومان و دفعوا له الجزية علّهم يدرئون تسلطه عليهم و يحقنون دماء شعوبهم من سفاح لا يعرف الرحمة.

****

نزفت وجنته عندما قاموا بتمرير السكين عليها... لكنه لم يصرخ... لم يبكي... قد جفت دموعه و غادرته للأبد ، أتيلا الهوني يصفه البعض أنه أشرس ملك عرفته البشرية، رغم عمر مملكة الهون القصير إلا أن أتيلا قد صنع تاريخاً دموياً و صفحات مظلمة لا تقدر عقول الرومان على

طيها أو تمزيقها ، أن يطلق عليك رجال الدين أنك العقاب الأليم... أنك شيطان من الجحيم... جئت للناس بالموت و الهلاك بعد أن كثرت آثامهم... أن تجعل للخوف طعماً... أن تجعل للألم طعماً... أن تجعل للقهر طعماً... ثم تذيقه لأهل الأرض ، تصل بجحافل جيشك لأسوار القسطنطينية و تجبر حكام الروم على دفع الجزية بعد أن اكتسحت بجيشك أقاليم الرومان و خلفت فيها الدماء الأشلاء ، إنه أتيلا الهوني الملك البربري المرعب.

يقولون عن الهون أنهم كانوا لا يعرفون الشفقة في حروبهم، كانوا قوماً أولي بأس و قوة، يجيدون تصويب السهام نحو أهدافها من مسافات بعيدة، يباغتون العدو في ثوان و لا يمهلوه شحذ سلاحه ،فيجد سيوفهم في صدره قبل أن يخرج سيفه من غمده، و لا نستبعد أن الكثير من قبائل المغول تنحدر منهم فالتشابه بينهم مفزع غير أن المغول قد يكونوا أشد فتكاً و عنفاً.

قضى أتيلا طفولته على سروج الخيول و بين السيوف و الخناجر و الرماح ، تعلم العنف و القسوة و فنون القتال منذ نعومة أظافره ،

يقولون أنه كان قصير القامة أسمر البشرة له عينين حادتين صغيرتين

كبير الرأس و عريض الكتفين ، قسمات وجهه تنم عن أصله و نسبه و سلالته ، عندما بلغ من العمر ٢٨ عاماً مات عمه(رو) و ترك الحكم له و لأخيه بلاديا الذي كان أقل قسوة و أكثر ذكاءاً و شعبية عند قومه من أتيلا، كان أتيلا يرغب بأن يكون الحاكم الأوحد للهون و أن يُقصي أخيه من البداية لكنه تمهل و ترقب اللحظة المناسبة و الفرصة التي يفتك عند سنوحها بأخيه.

في السنين الأولى من حكم الأخوين قاما بترتيب الجيوش و تجهيزها و إخضاع الشعوب البربرية المجاورة و تجنيد شبابها و تدريبهم و تقوية شوكتهم، تم تكوين و إعداد جيش لا يقهر... جيش دموي فتاك... جيش لا يعرف ديناً و لا قانوناً ، جيش لغته الوحيدة هي النهب و القتل و الخراب ، عندما امتنعت الإمبراطورية الرومانية الشرقية عن دفع الجزية بعد وفاة العم رو عزما على غزوها و إخضاعها ، و في الوقت الذي كان الرومان يحاربون المتمردين في شمال إفريقيا من الوندال استغل أتيلا و بلاديا الفرصة و بدأت هجماتهم البربرية على نهر الدانوب.

بدأ الهجوم على كونستانتا إحدى مدن رومانيا ثم مدن بلغراد و نيش و

صوفيا فاستولوا عليها ... نهبوا خيرها و دمروها... نثروا الجثث على أرضها و أراقوا الدماء... ذبحوا شعوبها في الطرقات و في البيوت ...اصطادوا الناس بالسهام و الرماح كالفرائس، و عندما أرسل الإمبراطور ثيودوسيوس جيشاً لملاقاتهم لم يصمد أمامهم و لقي هزيمة نكراء ، عندما أدرك الرومان خطأهم الأكبر الذي جلب لهم عذاب الهون و هو منع الجزية ، سارعوا بالرسل يطلبون ود و سلام أتيلا و بلاديا على أن يدفعوا لهم ما يشاءون من الذهب و الفضة ، فتمت المعاهدة و عاد أتيلا و أخيه لبلادهم ظافرين يحملون الغنائم و الكنوز و السبايا ، و مخلفين وراءهم أراض منكوبة و جثثاً لا تحصى طعاماً للطيور و شعباً من الروم يلعن حاكمه الضعيف.

الأرواح غرقت في الخمر و الذهب و الدماء ، نشوة النصر فاقت حدود الوعي... أتيلا فقد أعصابه... فقد قلبه ... فقد أخر ذرة آدمية جاء بها من رحم أمه... قد يكون أتى من ال لا مكان... قد يكون انحدر من أرواح قذرة، جدير به أن يكون الجد الأكبر لهولاكو و جنكيز خان... أتيلا يمسك بخنجره الحاد... أتيلا يتجرع آخر كأس نبيذ... أتيلا يمرر خنجره بلذة على عروق أخيه الغارق في نومه ... يفتح بلاديا عينيه لكنه قد فات

الأوان... قد فتك بك الشيطان ، رمقه لآخر لحظة في حياته بعينين باكيتين متسائلتين لماذا يا أخي ، لكن يا بلاديا أغلب السفاحين يقتلون ليرووا ظمأ أرواحهم للدماء ليس إلا، ألم تدرك أن أتيلا سفاح يا أحمق.

قتل أتيلا أخيه لينفرد بحكم الهون وحيداً، لكنه لم يتوقع ما حدث بعد ذلك، انشق عنه الكثيرون من أنصار بلاديا و ذهبوا لحاكم الرومان يحتمون بدولته من بطش أتيلا، بعث للإمبراطور يطلب منه تسليم المتمردين لكنه رفض، هذه المرة عزم أتيلا على غزو الرومان في عقر دارهم و دك أسوار القسطنطينية، جهز جيشاً ضخماً و تحرك صوب مدن الإمبراطورية الرومانية الشرقية.

بث الحمية في النفوس... أساطير تحكى عن عظمة أتيلا في الحروب، غازي العالم و قاهر الروم، لم تكد مدن نهر الدانوب ترفع الحداد عن أشلاءها بعد ... لم تكد الدماء تجف من التراب...لم تكد الطمأنينة تعود للقلوب، جاء أتيلا بالموت الأسود و العذاب الأليم من جديد ، اكتسح كل المدن و سحق كل القوات الرومانية و نهب الديار ، توغل بعساكره لمدن أرض البلقان ثم اليونان و ترك الجثث المتمزقة في كل مكان، ستتعثر قدماك إن وطئت أرضاً زارها أتيلا لأنه يفرش أرضها بأجساد قاطنيها،

يقولون أن أرض البلقان مكثت أربعة قرون تتعافى من طاعون أتيلا الهوني، مائة مدينة رومانية دمرها و أذاقها الرعب و الفزع ... هو الآن على أعتاب القسطنطينية معقل الرومان ... ضربها زلزال و تصدعت أسوارها فلن تعجزه ... أسرعوا يا رسلي إلى ذلك المجنون قبل أن يسقط دولتكم العريقة... لا قبل لحاكمكم برجل يكتسي ثوب الشيطان... رجل لا يرحم... رجل لا يُهزم... رجل يتحدث بالقتل ... أياً ما يطلب فاقبلوا خاضعين...لو أنفقت كل خزائن الإمبراطورية لهو ثمن هين إن نجحت بفرض السلم مع أتيلا.

معاهدة سلم جديدة و بنود قاسية فرضها أتيلا على امبراطور الشرق، ضريبة من أرطال الذهب تقصم ظهر الروم، و تسليم عشائر الهون الفارين لأتيلا صاغرين... الرماح و الخوازيق تنتظرهم ، سحب أتيلا قواته و عاد لأرضه بنصر جديد، لم يتحمل من يعكر صفوه و يسلب نشوة نصره ، يقولون أن أحد زوجاته(فوترون) وشت بالأخرى و ألقت عليها تهمة خيانة أتيلا مع أحد عبيده ، فقتل زوجته و عبده سوياً دون أن يسمع حجتهم ، علم أن فوترون كذبت عليه بعد ذلك فذبح طفلها أمام عينيها لتكتوي بنار حقدها و كيدها.

في أرض روما حيث الإمبراطور فالنتينيان حاكم الغرب ظهر للنساء دور أيضاً، الأميرة (هونوريا) شقيقة الإمبراطور ضُبطت في علاقة فاضحة مع أحد المستشارين... هي في زنزانتها تكيد و تفكر في النجاة ، كتبت رسالتها مفعمة بالحب و الولاء لأتيلا الهوني... قاهر الروم و معذبهم... من غيره يخلصها من براثن السجن ، كتبت له أنهم سيفرضون عليها زواجاً لا تريده و بعثت له بخاتمها ... أريدك أنت يا أتيلا... من غيرك يظفر بسليلة أباطرة الرومان... أعظم رجل على الأرض أنت يا أتيلا ، السفاح الشرس الدموي قهرته امرأة... كل الرجال عقلاء إلى أن تأتي النساء... عندها يفكرون بهرطقة و يتصرفون بهرطقة و يتحدثون بهرطقة.

أرسل أتيلا مبعوثه لإمبراطور الغرب يطلب شقيقته أولاً ، و مهراً يضاهي نصف مملكته ثانياً... من يدفع المهر يا أتيلا... لكنه لو كان أحد غيره لتعجبت من ذلك، الإمبراطور فالنتينيان رفض الأمرين و علم أن عقاب ذلك حرب ضروس ، أتيلا الهوني للمرة الثالثة يدق طبول الحرب مع الرومان لكن هذه المرة مع المملكة الغربية، الآن سيذهب ليطلب ما

يظنه حقه... العاشقة الولهانة و مهرها... الآن كل الطرق تؤدي إلى روما.

نحو الإمبراطورية الغربية انطلق السطو البربري، اجتاحوا مدن ألمانيا كالطوفان... أغرقوا أهلها في بحيرات الدماء... كعادته ترك المدن خاوية على عروشها من اسرافه في إبادة أهلها ، سيوف الهون لا تفرق بين أحد... سيوف الهون تعدل في جز الأعناق فلا تبقي و لا تذر... شعوب يدفعون ثمن كبرياء حكامهم ، ثم وصل بجيشه لبلاد الغال وصل لفرنسا، وجد القوط الغربيين في صفوف جيش الرومان... كل أعداءه توحدوا و كل ضحاياه، في تلك المرة رأى فيهم بسالة و صمود لم يعهدهما فيهم ، التحم الجيشان في أحد أشرس معارك التاريخ(معركة شالون) ... القتل في كل مكان... الجثث في مكان... الدماء في كل مكان... ملك الموت يقبض الأرواح في كل مكان ، لم تسترح السيوف حتى في الليل المظلم ، لا تدري من يقتل من في الظلام الحالك ، عشرات الآلآف من القتلى و مئات الآلآف من الجرحى ، وجد أتيلا أخيراً من يصمد أمام جحافل جيشه... لأول مرة ترجح كفة الرومان... عشائر القوط أنقذوا مملكة يوليوس قيصر من بلاء الهون رغم أنهم فقدوا ملكهم في تلك المعركة

الضارية ، فقد أتيلا أعداداً لا تحصى من جنوده... فقد أتيلا سطوته و جبروته ، ثم تقهقر بالناجين من جيشه يجر أذناب الهزيمة ، عد إلى حيث أدراجك أيها الملعون...اليوم يوم عيد للرومان... اليوم جرت أنهار الدماء من جيوش الغزاة...منحتهم السماء لذة النصر أخيرا... لو انتصر أتيلا في تلك المعركة لسقطت أوروبا بأكملها في قبضة يده.

أن يتذوق طعم الهزيمة لأول مرة فهو شيء لا يتحمله ، لم يكن يدرك أنه سيشهد تلك الأيام ، عام كامل من كوابيس معركة شالون ،عام كامل يحاول حرق نفسه و إزهاق روحه فيمنعه الجيش ، عام كامل يفكر كيف سينتقم منهم و يعيد الكرة عليهم ، بلغ غضب أتيلا قمم الجبال... بركان في جوفه ثار حتى بلغ حلقه، نفذ صبره و قرر فك عقال خيوله لأجل الحرب من جديد ، هذه المرة تجنب بلاد الغال حيث شهد فيها الهزيمة المرة ، تحرك نحو روما و مدن إيطاليا حيث معقل فالنتينيان امبراطور الغرب.

آخر حروب أتيلا مع الروم بعد أن وهن جسده من المرض ، عبر بجيشه جبال الألب إلى وسط أوروبا نحو إيطاليا ، دمر فيرونا و بريشيا و ميلانو و العديد من المدن سقطت أمامه دون مقاومة ، طلبوا رحمته

لكنه لم يرحم أحداً ... منذ عام ذاق الهزيمة و جاء لكم بالإنتقام... لا ينبغي للضحايا أن تطلب العفو من سفاح ... فلن يمنح السفاح الحياة لضحاياه مهما استكانوا لذا فليموتوا بشرف ، صب أتيلا جام غضبه على كل المدن التي فتحها...القتل و الذبح أكثر مما سبق... النهب أكثر مما سبق... الخراب أكثر مما سبق... عادت هيبته من جديد... عاد الرعب لقلوب الرومان... عادوا يطلقون عليه عقاب الله ، توغل الهون في قلب الإمبراطورية الغربية... وقفوا على مشارف روما... حاصروا العاصمة ، كانت إيطاليا تمر بمجاعة كبيرة و لم يكن لدى الهون ما يكفي من الإمدادات الغذائية و المؤن ، كان الجيش الروماني في بلاد الغال و أسرع للعاصمة عند اجتياح أتيلا للمدن ، و أيضاً فتكت الأوبئة و الأمراض بجيش أتيلا ، كل ذلك دفعه لعقد معاهدة سلام و قبول الهدايا و الذهب مقابل أن يسحب جنده و لا يقتحم روما ، فعاد منتصراً في آخر معاركه مع الرومان محملاً بالغنائم و الهدايا الثمينة.

بعد شهر من عودة أتيلا أقام عرسه على فتاة جرمانية بارعة الجمال كانت ضمن سبي من سبايا حروبه ، الرقص و الغناء و الثمالة في كل مكان، أُشعلت النيران و دقُت الطبول... عرس جدير بملك الهون...

الخمر أكثر من الماء... شرب أتيلا و ثمل حتى شبعت معدته و ارتوت روحه... سافر عقله لأبعد الحدود و غاب وعيه ، لم يكترث لجسده المريض ، لم يكترث لروحه السقيمة التي أنهكتها الحروب... لم يعر انتباهاً لأحشائه التالفة و قلبه العجوز ، بعدما فرغ من سكره دخل لغرفة عروسته... ليكتمل السكر و تكتمل النشوة... شابة حسناء في أوج جمالها و فتنتها و كهل ثمل ضعيف ، لكنه لم يظفر بها و ظفر به الموت ، الفتاة الجرمانية رأت مشهد هلاك أتيلا كاملاً ، يترنح يميناً و يساراً... يسقط و ينهض فيسقط من جديد... يبصق و يتقيأ... يتمتم و يهذي بكلام غير مفهوم... رأت الدم يخرج من فمه و أنفه... رأته يستنشق الدم في صدره فيخنقه... شرب من قبل الكثير من الدماء و حان وقت تفريغ إناءه... لقد حوى إناءه الكثير... الرعاف فتك بأتيلا الهوني... على الأرض غارق في دمه و قيئه... لا حول له و لا قوة... الفتاة الجرمانية في إحدى زوايا الغرفة في فزع من هول المشهد ، لا تدري ماذا ستفعل، هل بالفعل قتلته الثمالة أم قتلته هي بسمها ، في الصباح وجدوه جثماناً غادرته الروح بين بحيرات دماء صنعها بنفسه ، أن تكن تلك نهاية مرعب أوربا و عقابها لهو شيء عجيب ، لكن لا عجب من أمر الله فقد

أهلك النمرود ببعوضة و أبرهة بالأبابيل ، حملوا جيفته إلى مكان مجهول ، دفنوا معه كل الحاضرين من الشعب كي يظل سر مقبرته مجهول للأبد ، إلى تلك اللحظة لم يكتشف أحد مكان مقبرة أتيلا الهوني.

بعد وفاته تنازع أبناءه على الحكم فتمزقت مملكة الهون و سقطت عام ٤٧٠ م و كأنها لم تكن ، اختفت كجزيرة أطلنطس، و تحررت أوروبا أخيراً من هجمات الهون و وبالهم، سقطت أيضاً الإمبراطورية الرومانية الغربية و استمرت الإمبراطورية الشرقية بالقسطنطينية تحكم أجزاء كبيرة من الأرض.

تمت بحمد الله

(٩) ذو نواس

يوسف بن شراحبيل

٥٢٣ م

دقلديانوس!

٢٨٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم: و السماء ذات البروج،، و اليوم الموعود،، و شاهد و مشهود،، قُتل أصحاب الأخدود،، النار ذات الوقود،، إذ هم عليها قعود،، و هم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود،، و ما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد..

من هو صاحب موقعة الأخدود، معظم المفسرين أشاروا أنه ملك اليمن الحميري الملقب بذي نواس بن تبان أو يوسف بن شراحبيل و حدث ذلك في القرن السادس الميلادي في أرض العرب العاربة، أرض سبأ، أرض اليمن في قبيلة حمير التي جرت فيها اليهودية مجرى الدم في زمن ذي نواس.

كانت ديانات العرب في هذه الحقبة بين اليهودية و المسيحية و عبادة الأوثان، أما عبادة الأصنام فقد انتشرت عندما جلب عمرو بن لُحي صنماً يدعى هبل من تخوم الشام أرض العماليق، و أمر كل قبيلة أن تجلب صنماً تتعبد له عند الكعبة، و ساد الشرك و تبدل دين إبراهيم الحنيف بعبادة ود و سواع و يغوث و يعوق و نسر و الممسوخين الزانيين إيساف و نائلة و هبل على يد ذلك المشرك المضل عمرو بن لحي الذي يقول عنه الرسول صلى الله عليه و سلم (رأيت عمرو بن لحي في النار يجر أمعاءه).

أما اليهودية فقد بدأت تظهر باليمن عندما اعتنق (تبان أسعد أو تُبّع) _أشهر ملوك اليمن_ دين اليهود على أيدي حبرين من يهود الشام المهاجرين حيث مثلا بين يديه عندما أراد غزو يثرب بعد مقتل ابنه بها، فحذروه من عاقبة ذلك بالحجة أنها أرض ستغدو مهجر نبي(محمد صلى الله عليه و سلم) و استمالوا قلبه لليهودية فتهود و الكثير من أهل اليمن ، ثم تعاقب على اليمن ملوكاً يعتنقون دين اليهود فكان دين أكثرية أهل اليمن و إن كان عدد كبير من الشعب كان يعبد الأوثان.

أما الدين المسيحي فقد انتشر في نجران عندما غزاها الأحباش عام ٣٤٠ م ثم طردوا منها عام ٣٧٠ م لكنهم تركوا بصمتهم بشعبها الذي اعتنق منه المسيحية الكثير، و بدأت تنتشر على أيدي رهبان النصرانية باليمن حيث مملكة ذي نواس، فحدث الصدام العنيف بين أنصار المسيحية الضعفاء بنجران و أنصار اليهودية المجرمين باليمن و كان أعظم ما يمكن ذكره هي حادثة الأخدود.

هناك فئة أخرى من علماء التاريخ يحلقون بعقولهم خارج أرض العرب إلى حيث إمبراطورية روما و استكمالاً لاضطهاد نيرون للمسيحين فقد ظهر ملك لا يختلف أحد على حدوث تنكيل بالمسيحيين في عصره و هو دقلديانوس و ذلك قبل تاريخ ظهور ذي نواس بأكثر من مائتي عام و في أرض أخرى خارج ديار العرب، لكن رغم اضطهاد دقلديانوس للمسيحيين فلا يمكن إلصاق موقعة الأخدود لعصره بشكل مؤكد، لكن دعنا نميل لقول أكثر علماء الدين أن صاحب الأخدود هو ذو نواس بن تبان أو يوسف بن شراحبيل ملك حمير اليهودي و إليكم قصته بلسان دوس ذو ثعلبان.

****

من أنا؟ أنا من رأيت نار جهنم على الأرض، أنا من كاد حميم ذي نواس يأكل جلدي و لحمي و يذيب عظمي، أنا من رأت عيناي صنيع شياطين الإنس بأرض الله، أنا جندي من جنود الرب أنجاني من الأخدود كي أحضر عقاب الأحباش أرض اليمن، أنا مسيحي موحد ثائر دققت مسامير الروم في نعش ذي نواس الحميري اليهودي، أنا دوس ذو ثعلبان.

منذ أن قتل عمرو بن تُبّع أخيه ملك اليمن المتكبر حسان و لعنات السماء أصابت أرض اليمن، سقط سد مأرب و اجتاح سيل العرم اليمن(٤٥٠ م) فأخرب الأرض و شتت الشعوب و بدل جنتي سبأ الغنّاءين بجنتين ذواتي أكل خمط و أثل و شيء من سدر قليل، حكمها قاطع طريق يدعى لخنيعة و هو ليس من أبناء تبع فعتى و تجبر على شعبها و قتل الأخيار من أهلها و صنع بالناس صنيع قوم لوط ، ثم ظهر من نسل تبع ذو نواس أراح الناس من الخنيعة بطعنة خنجر و اغتصب حكم اليمن من بعده ، فحكمها كحكم النمرود لبابل و حكم نيرون لروما و رمسيس لبني إسرائيل.

التاريخ يعيد نفسه يعيد أحداثه و صفحاته، يعيد الدهر حكم الجبارين للمستضعفين، قصة واحدة تتكرر كل حين، تختلف الأسماء و الأماكن و تبقى الشياطين.

ذو نواس كان يهودياً يحكم أرض اليمن بشراعه بينما يعلو شراع المسيحية في نجران، يعلم ذو نواس أن مسيحي يعني أحباش يعني غزاة محتلين ، لذا فقد حمل على كاهله تجريف بذرتهم في نجران و منعها أن تثمر في أرض اليمن لكنه كان يترقب وقتاً لا يثنيه فيه أحد عن تفريغ سهامه المسمومة في صدورهم ، فمكث سنين حكمه يمنع بكل قوة انتشار عدوى المسيحية بين شعبه.

اتق شر من أحسنت إليه ، ذلك إن كنت تظن أن ما قدمته لذاك الشخص إحساناً، تربى في أرض ذي نواس غلام فطن و دؤوب تأسر عيناه القلوب و لسانه المعسول الفصيح يثير انتباه الغافلين (عبد الله بن الثامر)، جوهرة و لؤلؤة لا تقدرها الدراهم و الدنانير ظفر بها ذو نواس بلا ثمن، يملك الآن أرض خصبة لن تأبى أن يزرع بها ما يشاء و يجني منها ما يريد، فأودع الغلام أحد كبار السحرة يعلمه المكر و يلقنه السحر و يشربه أكواب الفُجر كي يأتيه بعد سنين مستشاراً زنديقاً

يعينه على ظلم العباد.

إن فطرة الإيمان و التوحيد عندما يطبعها الله بقلوب عباده المخلصين فلن تتمكن أعتى قوى الشر من نزع تلك الفطرة أو تدنيس تلك القلوب، و منهم كان ذلك الشاب الصغير الذي صرفه الله عن السحر و السحرة ، و وضع له في طريق إبليس مَلَكَاً، ألهم قلبه راهباً موحداً أتى من نجران و سكن ببيت قريب في طريق الجبل الذي يسكن فيه الساحر، وجد ضالته في الغلام الذي لا تنقطع الأحاديث عن فراسته و ذكاءه ، فعهد إليه و أنار قلبه و أخذ يعلمه الدين و يلقنه الحكمة و يشربه أكواب الخير، حتى إذا طاب الغلام و طاب بقلبه الإيمان قطف الراهب تلك الثمرة الطازجة العطرة و تركها بأرض اليمن تجذب بعبير عطرها عاشقي الإيمان و مريدي التوحيد ، و ذو نواس ينتظر عودة غلامه من لدن الساحر كي يصيغه و يشكله كيفما شاء لكنه لم يعود له، لقد فقدت يا ذي نواس جوهرتك الثمينة فقدتها في حديقة الإيمان.

(ملك اليمن الكبير إن غلامك انقطع عنا فلم يعد يتعلم السحر فانظر في أمره و اعلم أين زاغ بصره و أرسل جنودك يقتفون أثره) أعلم الساحر ذي نواس بقطيعة الغلام عنه فبحث و تحرى و علم أنه يقصد داراً

لغريب أتى من نجران، فأمرهم بإحضاره و أنطقته سبل التعذيب فعلم أنه راهب مسيحي أتى ينشر دعوته سراً و علم أنه أغوى الغلام و علمه دينه و صرفه عن تعلم السحر، فقتل الراهب قتلة شنعاء بشقه بالمنشار بعد أن عذبه أشد عذاب و أمر بإحضار الغلام الذي كان منهمكاً في دعوة الناس لدينه الجديد.

ظهرت كرامات و معجزات ربانية على أيدي الغلام فغدا يبرئ الأكمه و الأبرص و يشفي بإذن الله و يقضي حوائج الناس و يحمل أوزارهم بلا مقابل ،كان كل همه أن يشتري نفساً جديدة تؤمن بالله العزيز الحميد و تنبذ عبادة الأوثان و دين ذي نواس المحرف، ثم وجد نفسه بين الدروع و السيوف محمولاً إلى ذي نواس فأتاه و قد غلف قلبه بغشاء الصبر كي يتحمل كل شيء يتوقعه من ذي نواس و إجرامه.

بادئ الأمر سمع لوماً و عتاباً منه ثم علت وتيرة صوته إلى التهديد و الوعيد و الأخذ الشديد إن تمسك بدينه ثم حمي وطيسه أكثر فزجه في السجن و عذبه و آلم جسده الصغير الواهن، و عبد الله لا يهتم بكل ذلك، ذاق حلاوة الإيمان فأسكرته فكان السوط يقع على جسده كهواء دافئ، الصغير يفكر، الصغير يجاهد، الصغير يضحك ، الصغير يضحي، الصغير

علم كيف يحرر روحه، علم أن جذوته ستنطفئ قريباً فعزم أن ينير بها قلوب الغافلين.

(أظلمي يا جذوتي، إن كان التوحيد أكبر ذلتي، ستطيب نفسي عند مذلتي)، ضاق ذو نواس ذرعاً بالغلام و أدرك يقيناً أنه لن يفلح في جعله يرتد عن دينه و يعد لحظيرته ، فأصدر أمره لعساكره أن يحملوا الغلام على قارب و يبحرون به في المياه الهائجة حتى إذا ابتعدوا به عن الشاطئ يلقوا به في الماء فيغرق و تأكله الأسماك ، كرامات الرب ما زالت مع الغلام، الموج يرتفع، الريح تغضب، المياه تثور، يتراقص القارب فيسقط منه جنود ذي نواس كالصناديق الفارغة ، فيعود الغلام سالماً و الناس يلتفون حوله في دهشة و حيرة فيخبرهم (اللهم اكفينيهم بما شئت) هكذا دعا ربه و أنه لم يشأ أن يمت الآن و أن قتله سيحيى النفوس و ينيرها.

يأتي جنود ذي نواس ينتزعونه من جديد يصعدون به على قمة الجبل، يهمون بإلقائه فتتزلزل الأرض و تهيج الصخور فيتساقط جنود ذي نواس من حول الغلام كالتمر الجاف الفاسد، و يرجع عبد الله صحيح البدن نقي الروح ليخبر ذي نواس أنه لو اجتمع أهل اليمن في مكان

واسع و صلبتني في جذع نخلة و أخذت قوسي و سهمي و قذفتني به ناطقا (باسم الله رب الغلام) عندها سيسيل دمي و تفيض روحي و تصعد للسماء و تستريح مني لتبقى لك الدنيا، ضاقت بذي نواس كل السبل ففعل كما أمره الغلام.

تذكرون تجمع يوم الزينة، حيث دحض الله الباطل، تذكرون إبراهيم في حضرة النمرود، حيث أقام عليه الحجة، و بعد مثل تلك المواقف ماذا يحدث؟ ، يصل الظالم لذروة جحوده و ظلمه و لا يقر بخسارته، يتكرر الحدث، الغلام في ساحة واسعة ملتصق الجسد في جذع شجرة و الناس من حوله في كل مكان يعتصرون ألماً كأنهم سوف يفقدون نبياً و أنا بينهم و قد تنبأت بما ستؤول له الأمور فربطت جوادي في مكان قريب، و ذو نواس يشحذ همته و يشد عضل ساعده بكل قوة كأنه سوف يصطاد فيلاً يحلق في السماء ، حتى إذا وصل السهم حافة القوس نطق (باسم الله رب الغلام) فانطلق السهم صوب الغلام يخترق الهواء مسرعاً كأنه يتوق لمعانقته و في لحظة رأينا السهم يستقر بذلك القلب الطاهر فاكتسى ثوب عبد الله بحمرة الدماء و حمرة الشفق و فاضت روحه و ارتقت إلى السماء، و حدث ما سعى له الغلام، حيث في لحظة هبطت

الملائكة و فرت الشياطين و نزل غيث من السماء يروي القلوب، الناس يهتفون بقلوبهم و ألسنتهم، آمنا بالله رب الغلام، آمنا بالله رب العالمين، تحررنا من غي السنين، تركنا أوثان السابقين، الجند يتأهبون، الناس يصرخون، ذو نواس تحول لمجنون و ملعون ، و الفوضى في كل مكان.

كالنار في الهشيم أشعل الغلام الإيمان في الأرواح المظلمة، و في وقت قصير رأيت الجنود يحوطون الناس و يسوقونهم إلى حيث ذي نواس، من كل الجهات جند كثيف يمسك بالهاربين كباراً و صغاراً نساءاً و رجالاً، لم يتركوا أحداً، آلاف من المؤمنين تم احتجازهم في سجن كبير، و انطلق الجنود نحو أبواب المدينة كي يوصدونها و انطلقت قبلهم بجوادي كالبرق أطوي الأرض طياً و نجحت في الإفلات من براثنهم، و ترقبت خلف الأسوار أنتظر مصير هؤلاء المؤمنين، حفروا لهم خنادق و شقوق و حفر عظيمة، ألقوا بها وقوداً و زيتاً و أشعلوا بها ناراً كنار إبراهيم رأيت دخانها و حسست لهيبها، سمعت صرخاتهم، شممت رائحتهم، ذو نواس ألقى بهم في أخدوده ، جفف دماءهم و أذاب اللحم حول عظامهم و شوه ملامحهم بعدما أكلت النار وجوههم، الأطفال يثبتون الأمهات و الشباب يربتون على كتف الشيوخ و ينطق في المهد

طفلاً يشد عضد أمه بعدما كادت أن ترتد عن دينها فيلقي بهم ذو نواس بلا شفقة في جحيمه، ثم انطلق نحو نجران مصدر ذلك الدين الجديد ينكل بشعبها و يحفر لهم الأخاديد الموقدة و يلقيهم بها فنشر الرعب و الفزع في قلوب نصاري اليمن و نجران و أقام المذابح و المحارق و عاث في الأرض فساداً و ظن أنه لن يحاسبه أحد،، سيذكر التاريخ تلك المأساة و تلك الفاجعة، سيلعن الناس ذي نواس كل حين إلى يوم يبعثون.

لا مجال للرجوع، لا مكان لي في أرض إبليس، انطلقت بجوادي نحو الروم حيث قيصر القسطنطينية، لحق بي جنود ذي نواس و كادوا يظفرون بي لولا دخول الخيول في أرض رملية فتعثرت أقدام خيولهم و نجوت منهم، دخلت أرض الروم مشوش الفكر سقيم القلب و كابوس الأخدود يتمثل أمام عيني كل حين، لقد أقسمت أن أثأر لهم، لقد عاهدت نفسي أن أمحُ ملك سلالة تبّع، لا يهمني ممن أطلب العون فقد كان الانتقام همي الأكبر، دخلت قصر الإمبراطور البيزنطي و مثلت بين يديه و تكلمت: لقد تركت خلفي أجساداً محترقة و عظاماً متفحمة، لقد رأيت كيف يعانق رماد الجسد تراب الأرض، لقد شهدت محرقة أبشع من محرقة روما عهد نيرون، يهودي فاجر ألقي بألاف النصارى في الجحيم

عندما علم أنه لا ناصر لهم، من لهم دونك أيها القيصر و هم قد اعتنقوا دينك و أصبحوا إخوتك، مُر جيوشك يحملوا لذي نواس العذاب الأليم و لن يصمد أمامهم يوم واحد، إن رددتني خائباً منكسراً فلسوف تجد بعد بضع سنين ذي نواس يغزو ديارك، إن كان أمرك ضئيلاَ أمام تلك الفاجعة فاقتلني و لا ترجعني، فلا أتحمل أن أحيا يوماً آخر بذاك الألم.

سخط القيصر و استشاط غضباً و نعت ذي نواس نعتاً شديداً و هم بكاتبه يمليه رسالة للنجاشي ملك الحبشة أخبره بصنيع ذي نواس، و حثه على التحرك فوراً بجيش عتيد يغزو اليمن و يقتلع جذور ذي نواس منها، فانطلقت أحمل رسالته و بعد أيام وصلت الحبشة و قدمت لحاكمها رسالة القيصر، فوقع نبأ المحرقة على سمعه كالصاعقة ، ثارت روحه، انتفض قلبه، و اتسعت حدقتا عينه، أقسم ليغزون اليمن بجيش لا يرحم، التفت لقائد له يدعى(أرياط) أسمراً قوي البنية و شديد البأس و آخر يدعى (أبرهة) عيناه تبعث مكراً و كيداً، أمر أرياط أن يقود جحافل جيش يزيد عن سبعين ألف صوب اليمن و يأتيه بذي نواس مكبلاً ذليلاً و يعلي راية الأحباش بها، و أن يصطحب بجيشه أبرهة الذي تشهد أرض الحبشة

بفظاظة قلبه و ربط جأشه، فعلمت بما سيحل بأرض اليمن و أنها مقبلة على حرب ضروس، و انطلقت أحمل عقاب الأحباش لذي نواس.

لم تشهد العرب من قبل مثل هذا الجيش، جيش أسود أتى لليمن بالموت الأسود، أعداد لا تحصى من الجنود ذوي البشرة السمراء يحملون رماحاً و سيوفاً و نبالاً، اجتاح أرياط و أبرهة اليمن و كسروا جيشها بعد قتال عنيف، نعم إنه غزو لأرضي و لشعبي لكنني لم أكن أملك خياراً آخر، خضع ملك ذي نواس لأرياط و فر ذو نواس نحو البحر و توغل فيه بحصانه و أرياط يتبعه بلا كلل ، حتى إذ استيأس شيطان اليمن من النجاة و مع كل خطوة يخطوها حصانه يغوص في الماء أكثر و أرياط عند الشاطئ يترقب أن يرجع لهم مستسلماً ، لكن ذو نواس لم يكن ليرتضي _و هو يحمل نخوة العرب و إن كان فاسقاً_ أن يظفر به أعداءه فآثر أن يصير طعاماً للحيتان فضلاً أن يقدموه وليمة للنجاشي و ألقى بجسده الملعون في البحر و ذاق الغرق كما ذاقه فرعون ، ذاق الغرق الذي أراد أن يذيقه للغلام ، ذاق الموت الذي أذاقه آلاف المؤمنين.

هلك ذو نواس و خفت نجمه و مضى عصره الأسود، لكل ظلم نهاية و لكل ظالم موعد، عندما تستيئس القلوب، عندما يظن المظلوم أن الله قد تركه، عندما يظن الظالم أن الأرض مملكته و الشعب عبيده، عندما يقل الصابرون و يكثر الخاضعون، عندما يكسو الظلام القلوب و الأبصار، ينبثق الفجر من حيث ندري.

تمت بحمد الله

(١٠) كسرى الثاني(خسرو)

ملك الفرس

شهرباراز

٦١٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم(آلم،، غُلبت الروم،، في أدنى الأرض و هم من بعد غلبهم سيغلبون،، في بضع سنين لله الأمر من قبل و من بعد و يومئذ يفرح المؤمنون،، بنصر الله ينصر من يشاء و هو العزيز الرحيم)...

في الحقبة الزمنية المباركة التي عاش فيها المصطفى محمد صلى الله عليه و سلم حدثت صراعات شديدة بين أكبر دولتين في ذلك الوقت دولة الفرس و دولة الروم(الإمبراطورية الشرقية) بدأت منذ عام ٦٠٢ م و حتى عام ٦٢٨ م و كانت نقطة احتدام المعارك في الشام و فلسطين أرض الديانات و مهد الأنبياء.

تولى كسرى الثاني حكم الفرس عام ٥٩٠ م بمساعدة من امبراطور الروم فقد أعانه على هزيمة بهرام السادس الذي قتل والده و استبد

بالحكم، فحافظ كسرى في السنين الأولى من حكمه على السلام مع بيزنطة و الإمبراطور موريس الذي سبق و أهداه حكم الفرس ، ثم قتل الإمبراطور موريس عام ٦٠٢ م فسخط كسرى و أراد الانتقام لصديقه و توتر الوضع بين الدولتين و اشتدت الصراعات و الحروب و تحول السلام للهدوء الحذر الذي سبق عواصف قتلت أحلام الشعوب في العيش الآمن.

غزا كسرى سوريا و آسيا الصغرى و هزم البيزنطيين هزائم متتالية و كادت جيوشه تدق القسطنطينية و تم للفرس احتلال دمشق ٦١٣ م ثم فلسطين ٦١٤ م ثم مصر ٦١٨ م و ظفر كسرى بالنصر المتعاقب على هرقل عظيم الروم، رغم ذلك لم يدم نصره طويلاً و ذاق ويلات الهزيمة بعد ذلك.

تحدثت الآية الكريمة عن هزيمة الروم عام ٦١٤ م عندما سقطت فلسطين و القدس في يد شهرباراز قائد الفرس و أقيمت فيها مذبحة عظيمة قتل فيها ما يفوق ٥٠٠٠٠ ألف مسيحي في الروايات المسيحية و أسروا الالاف ، و من قبلها مذبحة أخرى أقامتها جيوش كسرى في دمشق، تلك الهزيمة سمع صداها المسلمون حيث بدأت دعوة النبي

محمد تنتشر بشبه جزيرة العرب فحزنوا و اغتموا لهزيمة النصارى، و السبب أن الروم و إن كان أكثرهم يؤمن بصلب المسيح إلا أنه منهم الموحدون و المتسامحون و الأقرب مودة للمسلمين، أما الفرس فهم قوم أولي شرك و تجبر و عبدة النيران لا يعرفون دينا و لا يصدعون للحق، و منهم أبرهة الذي أراد هدم الكعبة فسلط الله عليه الأبابيل و منهم أرياط المستبد الذي حكم اليمن، و أيضاً كان نصر الفرس على الروم يوم عيد لليهود أعداء الأنبياء الذين حاربوا مع الفرس لطرد المسيحيين الروم من أورشليم، فكانت قلوب المسلمين تميل للروم فحزنوا عندما سمعوا بهزيمتهم، لكن الله سبحانه و تعالى بشرهم و خفف عنهم و أنزل الآيات تقر بأن الروم سوف يهزمون الفرس بعد بضع سنين و عندها سيبتهج المسلمون بنصر الله و مشيئته، و تحقق وعد القرآن و دخل هرقل تبريز عاصمة الفرس و حاصرها و ملكها عام ٦٢٣ م و هُزم الفرس هزيمة نكراء، فهرب كسرى و حاشيته إلى قسطيفون و اتخذ منها حصناً و عاصمة جديدة، و استمر تقدم هرقل و كسر جيوش كسرى مرة تلو الأخرى حتى حدثت معركة نينوى عام ٦٢٨م فيها هزم الفرس شر هزيمة و سقطت على إثرها عاصمتهم

قطيسفون و أعيد فيها الأسرى المسيحيين، بعد هزيمة كسرى الثاني المذلة حدثت انقلابات عدة في البلاط الفارسي و خلع كسرى و حوكم، و تولى من بعده ابنه شيرويه الذي مات بعد عدة أشهر، و تدخل هرقل و عين يزدجرد حفيد كسرى الثاني ٦٣٢ م حاكماً لفارس و أصبح بذلك وصياً على عرش فارس، و الجدير بالذكر أن كليهما(كسرى يزدجرد و هرقل) هزما على أيدي المسلمين في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه و تم للمسلمين إسقاط دولتي الفرس و الروم .

في السطور القادمة نحكي لكم قصة مذبحة القدس ٦١٤ م و نهاية كسرى الثاني و شهرباراز.

****

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى و آمن بالله و رسوله و شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أن محمداً عبده و رسوله، أدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً و يحق القول على الكافرين، اسلم تسلم فإن أبيت فعليك اثم المجوس) كانت تلك رسالة النبي لكسرى الثاني عام ٦٢٧ م قبل عام واحد من هلاكه، مزق الأحمق

رسالة النبي فمزق الله ملكه بدعوة النبي عليه، بعد أن دحره هرقل عدة مرات نفث غضبه في رسالة النبي و رسوله عبد الله بن حذافة السهمي، أبى و تمسك بعبادة النار، ذلك المجوسي الساساني الطاغي قال عندما سمع الرسالة عن النبي: كيف لعبد من عبيدي أن يبدأ كتابه بنفسه قبلي، صده ما كان يعبد عن الإذعان للحق فصار معبوده مأواه عند الله.

مذبحة القدس ٦١٤ م، الحرب العالمية في ذلك الزمان، اليهود تلك الكلمة المشؤومة، فتحوا أبوب القدس، فتحوها كي يدخلها الرجس، فتحوها أمام كسرى الفرس، ظن اليهود أن مسيخهم الدجال يتقدم جيوش الفرس و حان وقت ظهوره الموعود، الشيطان الذي لطالما ترقبوا مجيئه من أجل خلاص أرواحهم، السامري الذي حررهم من قيد موسى و هارون، ظنوه آتياً يحمل لهم عبق ملك داوود وسليمان، ظنوا شهرباراز حارسه الوفي الذي يقطع بسيفه رقاب أعداء اليهود، و لعلهم ظنوا كسرى هو ذاته المسيخ الدجال.

قبل عام فتح شهرباراز _القائد الدموي لكسرى_ دمشق و قتل عشر سكانها بمساعدة يهودها، ثم أخذ الأمر من كسرى للتقدم بجحافل الجيش نحو فلسطين، لم يجد شهرباراز مقاومة تذكر حقيقة و نجح في غزو

فلسطين و بسط نفوذ كسرى عليها ثم احتل القدس و استتب للفرس حكم فلسطين حيث وجدوا كل المناطق اليهودية تدعمهم و تحارب معهم، و عندما استتب لهم الحكم توحد عبدة النيران مع عبدة الشيطان و بدأت الإبادة الجماعية للمسيحيين.

أحرقوا الكنائس و المعابد، نهبوا الديار و سرقوا الصليب، هدموا كنيسة القيامة، طاردوا الناس في الشوارع و الأزقة، قطعوا رقاب الكبار و الصغار، النساء و الرجال، سقوا أرض أورشليم بدماء الأبرياء، ذبحوا الأعناق و قطعوا الأوصال و جرى الدم من الوريد بلا توقف، عشرات الالاف قتلهم الفرس و اليهود في أيام سوداء، تحت لهيب الشمس جفت الدماء و لم تجف الدموع على الوجنات ، تحت لهيب الشمس صرخ الطفل و جزع أباه، تحت لهيب الشمس سقط قناع الشيطان فأمسك به شهرباراز ثم ارتداه، أضاء شعاع الشمس الأرض و مكث ظلام قلوب اليهود و كسرى دامساً، سيق الالاف مكبلين بالأغلال أسرى إلى سجون الفرس، مشهد نبوخذ نصر يتكرر من جديد لكنه مع أتباع المسيح، الجديد أو القبيح أن اليهود كانوا يشترون الأسرى من الفرس كي يذبحوهم و يشربون كؤوس الخمر ابتهاجاً بصنيعهم، عند بركة ماميلا

حاصروا الالاف و قتلوهم و هاجت المياه الراكدة عندما عانقتها الدماء، مذبحة عظيمة حدثت و هزيمة مذلة للروم و المسيحيين وصل نبؤها لمكة حيث بدأ ينتشر النور من تلك البقعة المباركة، حزن المسلمون و ظن البعض أن المجوس و اليهود ملكوا الأرض و سوف يخرجون وسخ قلوبهم كله للعالمين، لكن رب الأرض و رب الناس بشرهم أنه نصر قصير و تمكين مؤقت و سوف ينتصر الروم على الفرس بعد بضع سنين، بشرهم الرسول أنكم يا مسلمون ستسقطون كلتا الدولتين في أيام عز الإسلام و رفعته.

بعد سقوط القدس سقطت مصر أيضاً بأيدي الفرس ٦١٨ م، و أصبحت الروم خاضعة لفارس حيث فرضوا عليهم الضرائب من الذهب و الفضة و الثياب و الخيول و حتى النساء تساق إليهم ألف عذراء كل عام لإشباع غرائزهم الحيوانية، لم يكن هرقل ساذجاً لدرجة أن يضع ثروات بلاده في صوامع كسرى دون أن يحرك ساكناً، لقد استغل هرقل فترة السلام في إعداد جيشه و إعادة بناء بلاده و بث الحمية في النفوس، كل خيرات البلاد أنفقها على الجند و العتاد و الكنائس تجود بكل ما تملك لجيوش هرقل، بعد أن كون جيشاً عظيماً فاتكاً دق طبول الحرب مع

فارس من جديد بينما كان كسرى يأمن جانب الروم، خطب في الجيش أنها الحرب المقدسة، الحرب من أجل يسوع، الحرب من أجل الصليب المقدس، توجه بجيشه ٦٢٢ م من آسيا الصغرى نحو أرمينيا حيث دارت هناك رحى أولى المعارك مع الفرس فدحرهم و كسرهم و غنم منهم ثم بسط سيطرته على أرمينيا و عاد للقسطنطينية يطلب المؤن و العتاد، و في عام ٦٢٣م استأنف رحلته نحو ممالك الفرس فدخل أذربيجان و ملكها ثم حاصر تبريز معقل كسرى و أخضعها و دمر معبد النار بها فهرب خسرو نحو قسطيفون، ثم اتجه نحو القوقاز حيث واجه شهرباراز فاستأصل شأفته في سلسة متصلة من المعارك، و انطلق يطوي الأرض طياً يستقطب كل كارهي الفرس لجيشه فرفع رايته في أراضي بحر قزوين و أذاق كسرى و شهرباراز مرارات الهزيمة و مذلة الأيام، و بعد أن دحر قائد كسرى الدموي(شهرباراز) عدة مرات، رأى خسرو أن قائده المحنك سابقاً لا نفع منه، رأى ضعفه أمام إعصار الروم، رأى أن شريكه في الإجرام فقد بسالته في الحرب، فلم يكن عزيزاً عليه، و لم يذكر له أي فضل على دولته، و أمر بإعدامه أمام عينيه،

فتمزق لحم شهرباراز بسيف كسرى و فار الدم من شراييـنه، و هلك الشيطان الأول عند كسرى و شريك مذبحة القدس عام ٦٢٧م.

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الـهدى و آمن بالله و رسولـه و شـهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك لـه و أن محمداً عبده و رسولـه، أدعوك بدعاية الله فإنـي أنـا رسول الله إلى النـاس كافة لأنذر من كان حياً و يحق القول على الكافرين، اسلم تسلم فإن أبيت فعليك اثم المجوس).

في أعقاب الـهزائم المتتالية أمام الروم وصلت رسالـة النبي لكسرى يحملـها عبد الله بن حذافة السـهمي، أبداً لن يتخل الجبابرة عن كبريائـهم مـهما رأوا من الآيات، كمن يشعل شمعة في ظلام تغزوه الـعواصف من كل جانب حتى إذا كاد النور يـهزم الظلام تجهز عليه ريح الكبرياء، هكذا مزق كسرى الرسالـة و طرد الرسول، ثم بعث إلى تـابعه في اليمن (باذان) يأمره بإحضار النبي إلى بلاط قصره، فذهب إلى النبي في المدينـة وزير كسرى و وزيرين لباذان، قالوا للنبي: إن كسرى ملك الملوك يطلبك للمثول بين يديه، فإن أبيت هلكت و أهلكت قومك و

خربت بلادك و ستغدو من أعداء الفرس، فأخبرهم النبي أن يرجعوا و يأتوه في اليوم التالي.

قبل ذلك الموقف كانت المعركة الفاصلة (نينوى ٦٢٨م) بين كسرى و هرقل، استطاع فيه ملك الروم أن يسقط قسطيفون عاصمة الفرس و ينزع هيبة كسرى و يحطم كبرياءه، فعمت الفوضى مملكة الفرس و بلغت النزاعات و صراعات الحكم مداها، و تحمل كسرى الثاني عبء الهزيمة و ضياع عظمة و بأس الفرس، لم يشفق عليه ابنه شيرويه، إن كنت ساحراً فيوم من الأيام سيغدو السحر هلاكك، إن وضعت البذور في تربة فاسدة فلا تتعجب أن يكون حصادك رؤوس الشياطين، إن مارست العهر أمام ذريتك فلا ترقب فيهم شرفاً، بدم بارد استل شيرويه سيفه و تقدم نحو أبيه العاجز الضعيف الذي لا يحرك ساكناً متوقعاً ذاك المصير، و بضربة واحدة من سيفه الحاد فصل رأسه عن جسده، و تلك كانت نهاية كسرى، أن تكون جلاداً للعالم و قد خرج من نطفتك جلادك.

الواقعة كاملة أوحى الله بها إلى النبي في ليلة هلاك كسرى قبل أن يأتيه وزراءه في اليوم التالي كي يأخذوه إليه، فقال لهم النبي: أبلغوا صاحبكم(باذان) أن ربي قد قتل ربه كسرى في هذه الليلة لسبع ساعات

مضت و أن الله سبحانه و تعالى سلط عليه ابنه شيرويه فقتله، فعادوا إلى حاكم اليمن فقال لهم إن كان نبياً فلسوف يصدق قوله، و بعد أيام جاءت الأنباء من فارس بنبأ مقتل كسرى في الليلة التي حددها النبي فكبر المسلمون و هللوا و أيقن باذان أنه النبي الموعود خاتم الأنبياء و لم يتعرض للنبي بسوء، و بدأ نور الإسلام يسطع خارج مكة و المدينة، و بدأت دولة الإسلام تتوسع و تنشر عبقها إلى أنحاء الأرض برجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، بقلوب لا تهاب الموت و أرواح تطلب الشهادة،، لتفتحن عصبة من المسلمين كنوز كسرى التي في القصر الأبيض،،، إن هلك كسرى فلا كسرى بعده و إن هلك قيصر فلا قيصر بعده.... صدق رسول الله صلى الله عليه و سلم.

تمت بحمد الله

في الختام أرجو أن يحوز الكتاب على إعجابكم، أرجو أن تستفيدوا منه قدر الإمكان، الأجزاء القادمة أفضل بإذن الله...